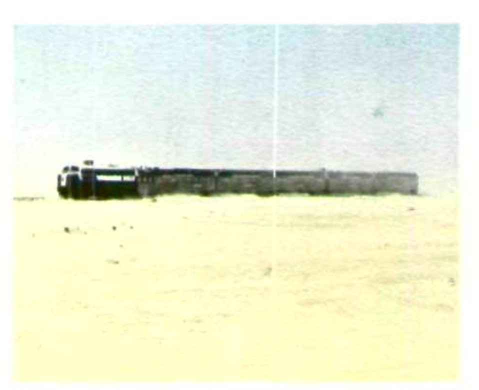

قافلة الزيت
صفر/ ١٤٠١هـ. ديسمبر ٨٠/ يناير ١٩٨١م.
2007
٢٠٠٧



١١



١٨



٤٢

قافلة الزيت

العدد الثاني المجلد الثامن والعشرون
صفر ١٤٠١هـ. ديسمبر ٨٠/ يناير ١٩٨١م.

تصدر شهرياً عن شركة ارامكو لموظفيها
ادارة العلاقات العامة

العنوان

صندوق البريد رقم ١٣٨٩
الظهران - المملكة العربية السعودية

توزع مجاناً

- جميع المراسلات باسم رئيس التحرير.
- كل ماينشر في قافلة الزيت يعبر عن آراء الكتاب أنفسهم ولا يعبر بالضرورة عن رأي القافلة أو عن اتجاهها.
- يجوز إعادة نشر المواضيع التي تظهر في القافلة دون إذن مسبق على أن تذكر كمصدر.
- لا تقبل القافلة إلا المواضيع التي لم يسبق نشرها.

صورة الغلاف: قطار حديث لنقل الركاب لدى مغادرته المحطة، وتبلغ طاقته ٢٠٠٠ حصان آلي.

الشواهد النحوية

وجه الحجة فيها... وحظ الأدب منها

بقلم: الأستاذ عبد الكريم الخطيب

جاء القرآن الكريم بنظمه العالي ، وأسلوبه الشامخ ، ونهجه المعجز المفحم ، مصوراً أدق المعاني ، وأعمق مشاعر العزة في ألوان من القول بهرت العرب ، فوقفوا بين يديه متصاغرين .

ثم ان هؤلاء العرب—الذين أخذتهم العزة بالاثم ، فقالوا في القرآن الكريم ما قالوا من بهتان — لم يطل تلبثهم في هذا الموقف المتخاذل ازاء القرآن ، حتى انقادوا لجلاله ، وخضعوا لسلطانه ، ودخلوا في دين الله أفواجاً ، ثم أقبلوا على الكتاب المبين يدرسونه ، ويقفون بين يدي معارض بيانه واعجازه ، يملئون القلوب بنوره ، والعقول بهديه ومعارفه ، وكان الرسول الكريم مرجعهم في تبيان آياته ، وتفصيل مجمله ، وكشف أسراره ، كما كان صلوات الله وسلامه عليه ، تفسيراً عملياً للقرآن الكريم في أقواله وأفعاله .

وكان المسلمون في صدر الاسلام يعتمدون في دراستهم لكتاب الله على فطرتهم العربية السليمة في تذوق بلاغته ، وفهم مقاصده ومراميه القريبة والبعيدة ، يترشفون جلال أيات الله كما تترشف النحلة رحيق الزهر ، تناله من قريب ، من غير كد أو جهد ، فلم يحاول أحد منهم أن يقف عند آية من آيات الله ، يسأل نفسه عن سر بلاغتها ، ومنشأ امتلاكها لمشاعره ، واستيلائها على وجوده كله .

وكان العصر الأول للاسلام عصر فتح وتمكين لدين الله في الجزيرة العربية وخارجها ، فلم يتهيأ للعرب أن يألفوا غير حياتهم ، أو يستطيعوا أجواء غير أجواء جزيرتهم ، فانقضى العمر الأول للاسلام دون أن يتحول العرب كثيراً الى جانب الأمم التي خضعت لسلطانهم من فرس وروم ، ودون أن يأخذوا من علوم وفنون هؤلاء وأولئك شيئاً يغير من شأن حياتهم ويصبغها بلون غير لونها . . ولهذا ظلت العقلية العربية محافظة على طبيعتها ، معتزة بتراثها ، متمسكة بعاداتها وتقاليدها . وكذلك كان الشأن في الأمم التي دخلت في دين الله من غير العرب ، فقد رضيت أن تقف على حاشية الدولة الاسلامية ، قانعة بهذا الموقف ، حتى تتاح لها الفرصة التي تمكنها من أن تحسن اللسان العربي ، وتصبح من أهله ، وتنصهر في بوتقة دولته .

على أن هناك ظاهرة خطيرة ظهرت بوادرها قبل أن ينتصف القرن الأول للاسلام ثم أخذ أمر هذه الظاهرة يستشري ويعظم شيئاً فشيئاً تلك هي شيوع اللحن ، والخروج على ما ألف العرب من أساليب البيان ، فتبلبلت بعض الألسنة العربية بمخالطة الأعاجم ، وداخلتها اللكنة والرطانة الأعجمية ، مما أفزع العرب وأهمهم وخاصة فيما يصيب صغارهم الذين يخالطون الأعاجم ، وألسنتهم رطبة قابلة للتشكل بما يرد على الاسماع من رطانات ، الأمر الذي حمل كثيراً من الخلفاء والأمراء على أن يردوهم الى البادية ، حتى تسلم ألسنتهم من العجمة ، وتنطق بالعربية الفصحى . .

والحق ان البذور الأولى لهذا العلم عربية لا شك فيها ، وما كان لغير عربي متمكن من العربية ، عليم بأسرارها ، محسن تذوقها أن يقوم باصلاح لغة لم يعرف وجهها ، ولم يذق طعمها ، فيضع القواعد كضبط أساليبها ، واقامة بنائها ، وخاصة اذا قيل أن النحو العربي منقول عن أرسطو وكتابه في النحو ، ذلك أن

اللغة العربية لغة أعراب ، تتحرك أواخر كلماتها ، ولكل حركة دلالتها على المعنى ، في رفعها ونصبها ، وخفضها وسكونها ، أما اللغة اللاتينية — لغة أرسطو — فهي تلتزم التسكين لأواخر الكلمات كلها .. فأين هذا من اللغة العربية ؟ وأين هذا من النحو العربي الذي يقوم أساساً على الضبط لأواخر الكلمات ؟

ومع هذا ، فانه لا يبعد أن يكون رجال النحو قد أفادوا من طرائق البحث عند غيرهم ، فنهجوا نهجها في مباحثهم ، وقد رأينا كثيراً من النحاة تعلموا المنطق الأرسطي ودرسوه ، كما رأينا أثر المنطق والفلسفة واضحين في مباحث النحو ، كما كانا سلاحين عتيدين في المناظرة والجدل بين نحاة البصرة والكوفة .

يقول العلامة « أنوليتمان » في احدى محاضراته التي ألقاها في الجامعة المصرية سنة ١٩١١ : « ثم انكم تعلمون أن علماء العرب أبدعوا في علم النحو واللغة ... واختلف الأوروبيون في أصل هذا العلم ، فمنهم من قال : انه نقل من اليونان الى بلاد العرب .. وقال آخرون : ليس الأمر كذلك ، وانما كما تنبت الشجرة في أرضها كذلك نبت علم النحو عند العرب . وهذا هو الذي روي في كتب العرب منذ زمن » .

ويقول المرحوم الأستاذ علي عبد الرزاق — الذي كان وزيراً للاوقاف المصرية — يقول تعليقـاً على قـول « أنوليتمان » : « ونحن نذهب في هذه المسألة مذهباً وسطاً ، فنقول : انه قد أبدع العرب علم النحو في الابتداء ، وانه لا يوجد في كتاب سيبويه الا ما اخترعه هو والذين تقدموه .. ولكن لما تعلم العرب اللاتينية من السريان في بلاد العراق ، تعلموا أيضاً شيئاً من النحو ، وهو النحو الذي كتبه أرسططاليس الفيلسوف .. وبرهان هذا أن تقسيم الكلم مختلف — عند سيبويه عنه عند أرسطو — قال سيبويه : الكلم : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى غير اسم ولا فعل ، وهذا تقسيم أصلي .. أما الفلسفة — أي فلسفة أرسطو النحوية — فيقسم فيها الكلام الى اسم وكلمة ورباط ، أي الاسم هو الاسم والكلمة هي الفعل ، والرباط هو الحرف ، وهذه الكلمات : اسم ، وكلمة ، ورباط ، ترجمت الى السريانية من اليونانية ، ومنها الى العربية ، فسميت هكذا في كتب الفلسفة ، لا في كتب النحو » .

فلما أخلت الدولة الأموية مكانها وجاءت الدولة العباسية مستندة الى دعاتها من الفرس ، وعلى رأسهم ابو مسلم الخراساني ، ارتفعت منزلة الأعاجم ، وعلت مكانتهم في الدولة الجديدة ، وتطلعوا الى مناصب الحكم فيها ، فانطلقت عقليتهم من عقالها ، وأقبلوا على الدين واللغة يدرسونهما ، وينالون حظهم منهما ، فكان منهم الكتاب والشعراء والفقهاء ، والوزراء ، وقادة الجيوش .

ولا شك أن هذه العقليات الجديدة التي أخذت في دراسة الدين واللغة ، قد صبغت مسائل الدين واللغة بصبغة جديدة لم يألفها العرب من قبل ، بما نضح من تلك العقول وما تحمل موروثات ، على الحياة العربية الاسلامية في مادياتها ومعنوياتها ..

وكان من أثر هذا — فيما نحن بصدده من الحديث عن النحو واللغة — أن ظهرت هذه الوقفات الطويلة على اللفظة ، أو الجملة ، أو الآية من القرآن الكريم .. حيث يأخذها النظر من جوانب كثيرة بعيدة عن مجال الجمال الفني ، وعن المعنى اللائح منها من قريب ، فينظر اليها متصلة ومنفصلة ، ومتقدمة ومتأخرة ، ومثبتة ومنفية .. الى غير ذلك من وجوه النظر التي لا تنتهي .

تغيرت الحال اذن في العصر العباسي ، وبدأت الحياة تخضع لضوابط علمية ، واصول فنية ، بعد أن كانت تجري الأمور على حكم الفطرة ، وسنن الطبيعة ، فوضعت القواعد العلمية والفنية لكل شيء .. قواعد الطعام ، والحديث والزي ، وضوابط للبحث والمناظرة والجدل .. فكانت قواعد النحو من أول الظواهر التي نجحت وصارت علماً في هذا العصر ، ثم تلتها علوم البلاغة والأدب ، والعروض .. وهكذا مما اتسع في العصر العباسي من شتى العلوم والفنون ..

ومن هنا ، أخذ المفسرون لآيات القرآن الكريم يطبقون هذه الدراسات على تفسير آيات الله ، واستخلاص الأحكام الشرعية منها ، وانتصب لها علماء أطلق عليهم الفقهاء ، الذين ان غلب عليهم هذا الجانب من العلم الديني ، فانهم — مع هذا — علماء دارسون للعلوم العربية كلها من نحو وصرف ، وفقه لغه ، وعروض ونثر ، وخطابة ، وكتابة ... وهكذا ..

وكان الشعر الجاهلي هو الصورة الكاملة للبلاغة العربية بعد القرآن الكريم ، فاتجه اليه العلماء في فهم آيات القرآن الكريم ، والاستئناس به في شرح غريبه ..

فكلما أشكل عليهم معنى ، أو استغلق عليهم لفظ ، حاولوا ان يكشفوه ، ويقيموا الشاهد على معناه من بيت شعر قد ورد فيه هذا اللفظ ، حتى تطمئن نفوسهم وتستريح ضمائرهم .

بدأ اذن الاستشهاد بالشعر الجاهلي لشرح غريب القرآن ، وكشف أساليبه ، وبهذا أصبح هذا الشعر مرجعاً عتيداً للعلماء ، وقاموساً يرجع اليه في الدلالة على معنى أية لفظة عربية في الاستعمال اللغوي المشهود في هذا العصر .

وليس ثمة شك في أن الاستشهاد بالشعر الجاهلي كانت الفائدة منه أولا لغوية ونحوية . . سأل سائل أبا عمرو بن العلاء — وهو من شيوخ الأقدمين في اللغة والنحو — عن معنى عززنا « في قوله تعالى : « **فعززنا بثالث** » فأنشد هذا البيت ، ولم يزد شيئاً :

أجـد اذا ضمرت تعزز لحمهـا

واذا يشد بنسعهـا لا تنبـس

وهو في وصف ناقة ، ومعنى « تعزز لحمها » : اجتمع بعضه على بعض ، فتماسك وصلب ، فهي ناقة صلبة قوية . .

وحكى أبو عمر الجرمي ، قال : رأيت « يونس » النحوي مر بحلقة في المسجد ، فقام اليه رجل فسأله عن قوله تعالى : « **وأنى لهم التناوش** » فقال وأشار بيده : التناوش التناول من بعيد ، وأنشد :

فهو ينوش الحوض نوشاً من علا

نوشاته تقطع أجواز الفلا

والبيت في وصف نائح يستقي بالدلو من بئر بعيدة الغور ، وهو كناية عن شدته وقوته . .

وسئل ابو عبيدة معمر بن المثنى عن قوله تعالى : « **طلعها كأنه رؤوس الشياطين** » فقيل له : انما يقع الوعد والوعيد بما قد عرف مثله ، والشيطان لم تعرفه العرب . . فكيف هذا ؟ فقال أبو عبيده : انما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم ، أما سمعت قول امرىء القيس :

ايقتلني والمشرفي مضاجعي

ومسنونة زرق كأنياب أغوال .

وهم — أي العرب — لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم توعدهم امرؤ القيس به وفي قوله تعالى : « **ومكروا ومكر الله** » وقوله جل شأنه : « **انما نحن مستهزئون ، الله يستهزيء بهم** » وقول تبارك اسمه : « **نسوا الله فنسيهم** » . . في هذه الآيات ومثلها — مما هو جزاء الفعل بمثله — نظر في شرحها الى قول عمرو بن كلثوم في معلقته :

ألا لا يجهلـن أحـد علينا

فنجهـل فـوق جهل الجاهلينـا

والذي دعا علماء اللغة الى هذا هو تحرجهم من أن يقولوا في القرآن الكريم أو الحديث الشريف برأيهم ، وللقرآن الكريم والحديث الشريف جلالهما وقداستهما . . ولهذا تحرج كثير من الصحابة — رضوان الله عليهم — أن يفسروا القرآن الكريم ، وأن يقولوا في الآية الكريمة من آياته شيئاً من عندهم وراء تلاوتها . .

والحق أن العرب في الصدر الأول للاسلام لم يكونوا في حاجة الى من يفسر لهم معنى لفظة أو آية من كتاب الله ، اذ كان الكتاب الكريم منزلا بلسانهم ، كما يقول سبحانه : « **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين** » وقوله تعالى مخاطباً العرب : « **انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون** » . . فهم بسليقتهم اذاً سمعوا الآية الكريمة وفهموا المراد منها . . هذا في غير آيات الأحكام التي جاءت مجملة ، فقد كان الرسول الكريم بيان مجملها ، قولاً وعملاً ، كما هو الشأن في الصلاة ، وبيان كيفياتها ومواقيتها ، وعدد ركعاتها . فكان امام المسلمين في كل صلاة ، ثم قال : « صلوا كما رأيتموني أصلي » . . وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « **وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم** » . . وهكذا في الزكاة ، وأعمال الحج ، وغيرهما . .

وكانت الخطوة الثانية هي الاستشهاد بالشعر الجاهلي في النحو ومسائله ، بعد الاستشهاد به لغريب القرآن . . وكان ما بدأ به أبو الأسود الدؤلي في النحو ، هو وضع رؤوس مسائل ، هي خصائص عامة للغة العربية ، لم تشتبك فيها الفروع ، ولم تتشعب الأصول . . وذلك ما يمكن أن يجود به العصر ، وتستدعيه الحاجة .

ثم كان الذين جاءوا بعد أبي الأسود ، ونهجوا نهجه انما يضعون في النحو أبواباً متفرقة ، وكان الباب عندهم يسمى كتاباً ، كما وضع ابو جعفر الرواس كتاب الوقف ، وكتاب التصغير . . الى أن وضع سيبويه «الكتاب»

جامعاً لما تفرق من هذه الأبواب ، شاملا رؤوس النحو ومسائله كلها . .

ولكن لما كانت اللغة والنحو خادمين للقرآن الكريم في شرح غريب مفرداته ، وفي تأويل بعض آياته ، فقد كانت لهما قداسة عند علماء العربية ، فعالجهما المشتغلون بهما وفي نفوسهم هذا الاحساس . . فأصبح للغة وعمودهـــا الشعر رواة ، ولرواتها أسانيد على نحو ما كان للحديث في رواته وأسانيده . . كذلك تناول رجال اللغة والنحو ، التعديل والتجريح ، كما تناول رواة الحديث ، وأخذ رجال اللغة يجوبون الصحارى ، وينزلون بالخلص من العرب في بطن الجزيرة العربية ، يستمعون منهم ، وينقلون عنهم ، ثم يعودون وقد جمعوا محصولاً وافراً امتلأ به وطابهم .

سأل الكسائي ، الخليل بن أحمد ، فقال له : من أين علمك هذا ؟ — يقصد اللغة — فقال : من بوادي الحجاز ، ونجد ، وتهامة ، فخرج الكسائي وأنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظه » .

كان هم علماء اللغة في هذا العصر — العصر العباسي الأول — العناية بسلامة العبارة العربية ، والمحافظة على أساليبها سليمة ، وتخليصها من شوائب العجمة التي دخلت عليها . . فلما بدأت أصول علم النحو تستقيم ، وتمتد ، أخذوا ينظرون ، في الأساليب العربية ، ويهتمون بالاعراب اهتماماً بالغاً ، ثم لم تلبث الحال طويلا حتى وجهت كل هممهم الى النحو يعللون لمسائله ويقيمون لكل حركة وجهاً من وجوه الاعراب ، ويطلبون لها عاملا أحدث هذا الأثر ، ويقال : ان أول من علل للنحو « ابن ابي اسحاق الحضرمي » . .

وكانت هذه الحركة في أول أمرها شديدة عنيفة ، الا أنها لم يكن لها محور ترتكز عليه ، وانما كان كل رجل من رجالها يدور حول نفسه ، ويعمل لحسابه ، ويلقى من يلقى من أنداده ، ممتحناً ، ومجادلا ، ومناظراً ، آخذاً ، ومعطياً .

ولعلماء النحو موقفان مختلفان مع الشعر العربي ، والاستشهاد به ، فهم يتلقون الشعر الجاهلي بالقبول والتسليم حيث لا يخامرهم شك في صحة منطق الشاعر ، وسلامة اعرابه ، بل يعتمدون — في غير جدال — على ما جاءهم منه ، ونقلته الرواه عنه . . أما كيف تداولته الألسن وتناقلته الرواة ، فلم يكن مجال بحث وتقص الا بقدر ضيق محدود . .

هذا هو موقف النحاة من الشعراء الجاهليين ، ومن يلحق بهم من شعراء صدر الاسلام . . أما الشعراء المعاصرون لهؤلاء النحاة فلا يقبلون منهم الا ما كان جارياً على النهج المعروف الشائع من الأعراب ، مهما كان الشاعر بليغاً فصيحاً لم يؤخذ عليه لحن . . كان « ابن أبي اسحاق » يرد على الفرزدق — وهو من فحول الشعراء في العصر الأموي — كثيراً من شعره ، ويكلمه فيه . فقال الفرزدق يهجوه :

فلو كان عبدالله مولـى هجوتــه
ولكـــن عبدالله مولـى مواليـا

فقال ابن ابي اسحاق : ولقد لحنت أيضاً في قولك « مولى مواليا » وكان ينبغي أن تقول : « مولى موال » وسمع ابن ابي اسحق هذا ، الفرزدق ينشد :

وعض زمان يا ابن مروان لم يــدع
من المـال الا مسحتـا أو مجلف

فقال للفرزدق : على أي شيء ترفع « مجلف » ؟ فقال الفرزدق : على ما يسوؤك ويخزيك » .

نترك هذه الفترة سريعاً من حياة علم النحو لننتقل الى الفترة التالية ، فترة الجدل والمناظرة ، وقيام المدرستين النحويتين الكبيرتين : مدرستي البصرة ، والكوفة ، حيث استقرت أصول هذا العلم ، واكتملت فروعه ، ولم يكن للنحاة بد من وظيفة يؤدونها ، وعمل يقومون به . . فشغلوا بهذا الجدل ، الذي فتح عليهم كثيراً من أبواب الخلاف ، وكان علم الكلام الذي كثرت فرقة في هذه الفترة ، قد فتح على النحويين باباً فسيحاً من الجدل والمناظرة ، نحوا فيه منحى علماء الكلام ، الذين صبغوا مسائل الدين وقضاياه بصبغة المذاهب الكلامية والفلسفية ، وكان من هذا ان تعددت الفرق ، وتشعبت مذاهب القول في أمور لم تكن من قبل مثار الجدل ، أو الخلاف . . انتهت الفترة الأولى من حياة النحو ، بجمع تلك الثروة الكبيرة من مفردات اللغة وأساليبها ، التي جمعها رجال الطبقة الأولى من النحاة واللغويين ، أخذا من أفواه أعراب البادية ، الذين كانوا يفدون الى العراق ، أو الذين كان يلقاهم العلماء في البادية ومضارب الخيام . . وعن رجال هذه الطبقة تلقى تلاميذهم هذا المحصول الوفير ، واخذوا مكانهم في حلقات الدرس ، في مسجدي البصرة والكوفة .

لم يكن من هم النحاة في تلك الفترة أن يرجعوا الى شيء من مقاييس الجمال في الأسلوب ، وانما كان همهم محصوراً في الشاهد من الشعر ، أو النثر ، الذي يقيم لهم الحجة على ما يقولون ، دون أن ينظروا ان كان هذا الشاهد جارياً على أساليب اللغة أو شاذاً عنها ، ودون ان يلتفتوا اليه ان كانت نسبته الى قائله صحيحة أو منحولة . ومن هنا كانت معظم الشواهد النحوية ركيكة الأسلوب ، تافهة المعنى ، هزيلة البناء . .

والشاهد على هذا ، أننا لا نجد النحاة يستشهدون بآيات القرآن الكريم ، وهو كتاب العربية الأول ، ونظيم عقدها ، والمنتقى من كريم جواهرها ، في بيان معجز ، وأسلوب تتقطع دونه أعناق البلغاء ، وتعنو له جباه الفصحاء . . والنحاة يعرفون للقرآن حقه هذا ، ويقدرونه قدره ، ولكن القرآن لا يسعفهم في هذا المدار الذي يدورون فيه ، ويقتتلون بكل سلاح من حق أو باطل . . ولهذا ، فقد أبوا ان ينزلوا القرآن في سوق المهاترة والسفسطة . . وهذا هو السر في أن الشواهد النحوية جاءت كلها — الا نادراً — من غير القرآن الكريم . .

والحق أن النحو — بعد أن كان قريب المأخذ ، سهل التناول — قد أصبح علماً يضم في بطنه عدة علوم ، من لم يكن متمكناً منها ، متضلعاً فيها يجد نفسه حين ينظر في شيء منه ، أنه أمام طلاسم وملغزات ، تحتاج الى خبير في حل المبهمات ، وكشف المعميات ، وليس يغني المرء في هذا الباب أن يكون من أعلم العلماء ، في الرياضة أو الطب ، أو الفلسفة ، أو علم النفس ، والاجتماع ، وغيرها من ألوان العلوم والمعارف ، حتى يخوض في مسائل النحو ، ويعد من رجاله . .

يقول ابن الكلبي : « ان علوم الأدب ثمانية : النحو ، واللغة ، والتصريف ، والعروض ، والقوافي ، وصنعة الشعر ، وأخبار العرب وأنسابهم . ويقول أيضاً : وألحقنا بالعلوم الثمانية علمين وضعناهما ، وهما : علم الجدل في النحو وعلم أصول النحو ، الذي يعرف به القياس وتركيبه ، وأقسامه ، من قياس الشبه ، وقياس الطرد ، الى غير ذلك ، على حد أصول الفقه فان بينهما من المناسبة ما لا يخفى ! ! لأن النحو معقول ، كما أن الفقه معقول من منقول » .

هذا ، وقد اضطر علماء النحو ، الى دراسة المنطق ، دراسة شاملة مفصلة ، حتى لقد كان منهم من ألف فيه ، وصار من علمائه . فضلا عن أنه من علماء النحو ، وأئمته . . كابن السكيت النحوى ، الذي يقول عنه المبرد : « ما رأيت للبغداديين كتاباً خيراً من كتاب « ابن السكيت » في المنطق » ! !

لم يكن بد وسط هذا الصراع الذهني بين النحاة في حلبة السباق المحتدم على اكتساب الجاه والحظوة عند الأمراء والخلفاء أن نشهد تلك المواقف الحرجة ، التي يقفها كثير من العلماء في مجالس المناظرة ، والتي كان يلجأ فيها كثير منهم الى الكذب والانتحال طلباً للنجاة ، أو حباً في الغلب . . ويكفي أن نسوق هنا بعض الشواهد لهذا :

يروى أن « بشر المريسي » قال للفراء يوماً : يا أبا زكريا . . أريد أن أسألك مسألة في الفقه ! ! فقال الفراء : سل . . قال : ما تقول في رجل سها في سجدتي السهو ؟ ! ! . . فقال الفراء : لا شيء عليه ! ! قال : من أين لك هذا ؟ قال : قسته على مذهبنا في العربية ! ! ذلك أن المصغر لا يصغر ، وكذلك لا يلتفت الى السهو في السهو ! ! فسكت الرجل » .

والمناظرة حين تكون بين نحوي وفقيه ، يكون الخطب فيها هيناً ، ووجه العذر للمغلوب ممكناً ومقبولاً ، حيث لم يمتحن المغلوب في العلم الذي يحسنه ، ويأخذ مكانه فيه بين أهله .

أما حين تكون المناظرة بين نحوي ونحوي ، فتلك هي قاصمة الظهر للمهزوم فيها ، وخاصة اذا كان فارساً معدوداً من فرسان تلك الحلبة ، وبطلاً مشهودا من أبطالها . .

والقصة المشهورة ، أو الواقعة المشهودة ، بين الكسائي وسيبويه ، شاهد ناطق بهذا . وما جرى في تلك المناظرة بين هذين الرجلين . وكلاهما امام من أئمة النحو ، وعلم شامخ من أعلامه . فاذا سقط سقطة هنا أصيب في مقاتلة ولم تقم له قائمة بعدها . .

وملخص القصة ، أن يحيى بن خالد البرمكي أراد أن يكيد لسيبويه ، وأن يطأطيء من رأسه المتشامخ بالكتاب الذي وضعه في النحو باسم « الكتاب » والذي أصبح مرجعاً عتيداً لعلماء النحو منذ أن ظهر الى اليوم . . والكيد الذي كاده يحيى البرمكي لسيبويه هو أنه دعا اليه الكسائي ، وأسرّ اليه بما في نفسه ، وأشار عليه أن يستعد لمناظرة سيبويه ، ثم دعاهما ليتناظرا ، وفي المناظرة ،

سأل الكسائي سيبويه هذا السؤال : كيف تقول في العبارة التالية : « كنت أظن ان العقرب أشد لسعة من الزنبور ، فاذا هو هي ، أو فاذا هو اياها » ؟ فقال سيبويه : أقول : فاذا هو هي ، ولا يجوز فاذا هو اياها . » فقال له الكسائي : لقد لحنت . . ان هذا ليس من كلام العرب . . ولما وقع الخلاف بينهما ، قال لهما يحيى البرمكي : قد اختلفتما وانتما رئيسا بلديكما . . فمن ذا يحكم بينكما فقال الكسائي – وكان الأمر مدبراً : هذه العرب في بابك . قد جمعتهم من كل أوب ، وهم فصحاء الناس ، فيحضرون ، ويسألون . . فقال يحيى : قد أنصفت ! ! فأمر باحضار هؤلاء الأعراب . . فسئلوا عن هذه المسألة التي جرت بين الكسائي وسيبويه ، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله . . فقال يحيى لسيبويه : أسمعت أيها الرجل ! ؟ فاستكان سيبويه وانكسر ، ثم خرج ووجه وجهه نحو فارس حتى مات هناك ، ولم يعد الى البصرة » .

ولا شك أن سيبويه ، قد ذهب ضحية هذه المناظرة التي لم تكن في سبيل العلم ، وانما كانت في مجال الصراع من أجل الانتصار للأشخاص . وتقديم بعضهم على بعض لدى أصحاب السلطان من الخلفاء والأمراء . .

ويحكى عن الفراء ، أنه قال : دخلت على الكسائي يوماً ، وكان يبكي . . فقلت له : ما يبكيك ؟ فقال : « هذا الملك – يعني يحيى البرمكي – يوجه الي ليحضرني ، فيسألني عن الشيء فان أبطأت في الجواب لحقني منه عتب ، وان بادرت لم آمن الزلل » . فقلت له : « قل ما شئت فأنت الكسائي ! ! يا أبا الحسن من يعترض عليك ؟ ... قال الفراء : « فأخذ الكسائي بلسانه وقال قطعه الله اذن اذا انا قلت ما لا اعلم » .

ولا نظن أن الكسائي كان عند هذا الحد الذي ألزم به نفسه ، من التحرج والتأثم من أن يقول ما لا يعلم ، ولو كان ذلك مما أمكنه أن يلتزمه في مجالس الاملاء والدرس ، فان ذلك عسير عليه أشد العسر في مقام الامتحان والمناظرة ! ! .

من أجل هذا ، فاننا لا نعدو الحقيقة اذا قلنا أن كثيراً من شواهد النحو ، قد انتحلها النحويون انتحالا ، دون أن يكون لها أصل عربي ، ترجع اليه .

حدث اللاحقي ، فقال : سألني سيبويه : هل تحفظ للعرب شاهداً على أعمال « فعل » بفتح الفاء وكسر العين وهو من صيغ المبالغة ؟ قال اللاحقي فوضعت له هذا البيت :

حذر أموراً لا تضير وآمن
ما ليس منجيه من الاقدار

وهكذا ، صار هذا البيت الدخيل الموضوع ، أصلاً من أصول القواعد النحوية ، تجري عليه أساليب الكلام ، بعد أن أدرجه سيبويه في كتابه الأم « الكتاب » ! ! .

وقال عبدالله بن المفجع : « كان المبرد لعظم حفظه اللغة ، واتساعه فيها يتهم – أي يتهم بالوضع والانتحال – فتواضعنا أي اتفقنا على مسأله لا أصل لها ، نسأله عنها ، لننظر كيف يجيب ؟

قال ابن المفجع : « وكنا قبل ذلك تمارينا – أي تجادلنا – في عروض هذا البيت :

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا
حنانيك بعض الشر أهون من بعض

وقد تردد على أفواهنا ونحن نقطع البيت هذا المقطع : ق بعض . . فوجدناه قولا غريباً ، فترصدنا المبرد وسألناه قائلين : أيدك الله . . ما القبعض ؟ وهل تعرفه العرب ؟ فقال : هو القطن ، وأنشد :

كأن سنامها حشي القبعضا ! !

فعلمنا أن الرجل يكذب وينتحل ، حتى لا يتهم في سعة علمه ، وقوة حفظه .

والسؤال هنا : ألا يحملنا ذلك على أن نعيد النظر في النحو ، ونخلصه من الشوائب الغريبة التي دخلت عليه ، والتي أصبحت بعضاً منه ؟ ولقد تصدى لهذه المحاولات كثير من العلماء في القديم والحديث ، ولكن محاولاتهم تلك – على ما فيها من اخلاص ، وصدق ، ونجح – لم يقدر لها الذيوع والانتشار . . ولو قام بهذا العمل مؤسسات المجامع اللغوية في البلاد العربية ، لقدر لمثل هذا العمل أن يخلص النحو من كثير من التعقيدات التي يعانيها المتعلمون في شتى مراحل التعليم ، ولاستقامت كثير من ألسنة المثقفين الذين يخطئون في الاعراب واللغة على الرغم من سعة علمهم ، وتعدد ألوان ثقافتهم ●

عبد الكريم الخطيب – القاهرة

التخاذل والتواكل

عمليتان اجتماعيتان مفرقتان ودور التربية في تخليص المجتمع والفرد منهما

بقلم: الأستاذ عيسى الجراجرة

دور التربية ، هو تربية أفراد المجتمع وتعليمهم كيف يسلكون في المواقف الاجتماعية المختلفة سلوكاً يتفق مع مـا يتوقعه منهم المجتمع الذي ينشأون فيـه ، ومعنى هذا ، ان التربية تُعنى بالسلوك الانساني ، وتنميته وتطويره وتغييره . أي أن هدفها جعل أفراد المجتمع متكيفين مع الجماعة التي يعيشون بين ظهرانيها . لأن الجماعات الانسانية في جميع الأزمنة وعلى مر العصور ، تهدف الى تحقيق بقائهـا ، واستمرارهـا على ظهر هذه البسيطة كمـا تهدف الى بقاء قيمهـا ونظمهـا وعاداتها .

وكما يوجد الخير في المجتمع بقدر ، قد يزيد وقد ينقص ، كذلك الشر فانه يوجد في المجتمع بقدر ، قد يزيد وقد ينقص والأمر والمقياس نفسه يصدق على وجود القيم الخيرة والعمليات الاجتماعية المجمعة مثل التعاون ، والتواصل ، والمشاركة ، والعمل ، مثلما يصدق على القيم غير الخيرة ، والعمليات المفرقـة مثل التواكل والتخاذل ، والتنافس .

واذا كانت صلابة الجماعة — Group Solidarity ، تعتمد الى حد كبير على درجة انتماء الافراد اليها ، فان هذا هو ما يجعل الناس يقيمون وزناً لعلاقتهم بالجماعة يتناسب ومقدار انتمائهم اليها ولهذا فهم يسلكون سلوكاً يتناسب ومعايير هذه الجماعة ، ودرجة انتمائهم اليها .

ولن يتحقق ذلك كله لجماعة من الجماعـات الا اذا وجهت جهود التربيـة والتعليم في المجتمع نحو اثراء كل القيم والعمليات الاجتماعية المجمعة ، والقيم النافعة للمجتمع وحياتـه وافراده وأغنائها ، والا اذا وجهت التربية في المجتمع ، جهودها ومحاولاتها من جانب آخر الى مقاومة القيم غير الخيرة ، والعمليات المفرقة .

وسوف نتعرف ، في هذا المقال على التخاذل والتواكل كأثنتين من العمليـات المفرقة ، ثم نعرفهما ونحدد مفهومهما ، مستعينين بالتاريخ واللغة ، والقرآن الكريم . ونحاول أن نستقرىء كيفية ظهورهما والحدود التي قد يقبل فيها المجتمع هذه العمليات المفرقة ، وقد يرفضها .

ويمكن استئصال التواكل والتخاذل من المجتمع والأفراد ، كعمليتين مفرقتين بواسطة التربية والثقافة اللتين ، تتضمنان تكييف سلوك الأفراد وتنظيمه ، وتنمية روح الجماعة والمسؤولية الجماعية ، زيادة على الحرص على رعاية مصالح الأفراد وأمنهم الداخلي والخارجي ، كل ذلك من خلال التربية والثقافة

مفهوم التخاذل في اللغة والقرآن

الخذل والتخاذل ، هو ترك عون الآخرين ونصرتهم وهم ينتظرون منك المعونـة والمساعدة **« ان ينصركم الله فلا غالب لكم ، وان يخذلكم ، فمن ذا الذي ينصركم من بعده »** .

ونقول « تخاذل القوم ، خذل بعضهم بعضاً » ويقال : تخاذلت رجلاه اذا ضعفتا . وفي الأمثال « أنا خذلة ، وأخي خذلة وكلانا ليس بابن أمه » . يضرب لمن تطلب عونه (فيخذلك) . وتقول « فلان نوؤه متخاذل ونهضه متواكل » . أي ضعيف النهض والقيام ، يتكل بعضه على بعض. وفي الحديث « المؤمن أخو المؤمن لا يخذله » والخذل والتخاذل ترك الاعانة والنصرة . ولهذا قيل « الخاذل أخو القاتل » . ويقال تخاذلت رجلا الشيخ : ضعفتا ، ورجل خذول أو متخاذل أي تخذله رجله من ضعف أو عاهة .
وقال الأعشى :

فترى القوم نشاوى كلهم
مثل ما مدت نصاحات الريح
كل وضاح كريم جده
وخذول الرجل من غير كسح

التخاذل في المفهوم الاجتماعي

اذا كان التعاون والاخاء والتواصل ، من العلاقات الاجتماعية المجمعة Associative والتي تودي الى البناء والايجابية والتعاون ، فان التخاذل وكذلك التواكل من العمليات الاجتماعية التنابذية المفرقة والمفككة ، Dissociative والتي تؤدي الى التنافر وانهيار المجتمع ، ولذا فان أنظار المجتمع تتجه الى التربية والثقافة والاصلاح الاجتماعي لمعالجة هذه العلميات المفرقة ومحاولة اجتثاثها من المجتمع بالتدريج .

والفرد المتخاذل ، هو الذي يترك عون الآخرين ومساعدتهم وهم يتوقعون منه المعونة والمساعدة ، سواء أكان الآخرون فرداً أم أفراداً ، أم جماعة .

انماط التخاذل وانواعه

يأخذ الخذل والتخاذل ثلاثة أنماط وأشكال فقد يخذل فرد فرداً ، ينتظر عونه ويتوقع مساعدته ، وقد يخذل فرد جماعة أو أفراداً ، وقد يخذل فرد مجتمعه الذي ينتظر منه العون والمساعدة . وقد يخذل مجتمع أو جماعة مجتمعاً أو جماعة أخرى تنتظر العون والمساعدة منها وتؤمل بها .

اسباب التخاذل

لا يترك الفرد الانساني معونة الآخرين ونجدتهم سواء أكانوا أفراداً أم جماعات خاصة اذا كان الطرف الآخر يؤمل بهذا العون والمساعدة وينتظرهما ، الا لظروف قاهرة خارجة عن طاقة الانسان وقدرته ، مثل تخاذل أنصار أحد الزعماء عن نصرته والوقوف معه ، اذا رأوا أن الطرف الآخر المواجه لمن ينصرون سوف يلحق بهم ضرراً لا يحتمل . أو اذا تعرضوا لاغراء الطرف الآخر وتهديده ، واستجابوا للاغراء والتهديد ، تركوا رغبة ورهبة ، نصرة الطرف الذي وعدوه بالعون والمساعدة ، وخذلوه ، ويمكن أن ينجم التخاذل عن مد يد المساعدة والعون لطرف اذا تغيرت شبكة المصالح المتشابكة ، فيخذل طرف طرفاً آخر طمعاً في تحقيق مصالحه .

ماهية التواكل Dependence وتعريفه ومفاهيمه :

لا توجد صيغة للتواكل في القرآن الكريم ، بل توجد بصيغ اخرى .

في اللغة

تواكل القوم : اتكل بعضهم على بعض ، وهي صفة ذميمة . ويقال ان أسوأ التواكل ما وصفه أحدهم من تجربته المرة ، قال : « استعنت القوم فتواكلوا » أي وكله بعضهم الى بعض .

أما في الحديث الشريف : فقد نهى الرسول العظيم « ص » عن المواكلة والتواكل . « قيل : وما التواكل ؟ قال : هو الاتكال في الأمور ، وان يتكل كل واحد منهما على الآخر » .

ويقال رجل وكلة ، اذا كثر منه الاتكال على غيره .

والتوكل والتواكل ، اظهار العجز والاعتماد على الغير .

التواكل بين المجتمع والدين

كما أن التعاون ، اتفاق منظم ، أو اتفاق يكمله تنسيق للوسائل المؤدية الى بلوغ غاية مشتركة فان التواكل في المجتمع هو التنصل من الاتفاق والتنسيق للوسائل لبلوغ الغاية المشتركة .

ويرى الدكتور محمد المبارك ، ان التوكل على الله ، مع عدم الأخذ بأسباب العمل والنجاح به ، ينقلب الى تواكل . وهذا « من جملة ما أحدث من التشويه والتغيير لتعاليم الاسلام ومفاهيمه ، ذلك أن المتأخرين فهموا التواكل ، بترك الأخذ بالأسباب واهمال سنن الله في هذا الكون ، والاستسلام دون حركة أو عمل للوصول الى غاية أو هدف ، كالنصر على الأعداء ، أو الحصول على الرزق » وقد جعل الله لكل أمر

سبباً . فالنصر يكون بالأخذ باسبابه والاعداد والاستعداد له « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة » .

أما عند الشيخ عبد الحميد السائح في كتابه عقيدة المسلم ، فيرى الفرق بين التوكل والتواكل انه :

في « التوكل » على الانسان أن يسعى جهد طاقته ، وقدر استطاعته وبكل الوسائل في تحصيل المقصود ، ثم يفوض أمره الى الله عز وجل في جلب المصالح أو درء المخاطر ودفع المضار في أمور الدنيا والآخرة .

أما التواكل فهو ترك السعي جهد الطاقة ، وقدر المستطاع في سبيل تحصيل المقصود ثم توقع معونة الله ، والآخرين في الوصول الى الهدف .

موقف المجتمع والحياة اليومية من التخاذل والتواكل كسلوك ، ودور التربية والمجتمع في مقاومة واجتثاث مثل هذا السلوك والعمليات الاجتماعية المفرقة :

التواكل والتخاذل سلوكان اجتماعيان متقاربان في الأسباب والنتائج ، ففيهما يترك الانسان المبادرة والفعالية لغيره . وهو يتوقع لسلوكه ، أن يكون مقبولا ، أو يسكت عليه على أقل تقدير . واذا توقع المقاومة ، وانخفاض منزلته الاجتماعية فانه لن يقدم على سلوك فيه التخاذل والتواكل . ويسود الاقدام على سلوك التخاذل والتواكل ، دون عملية حساب اجتماعية للنتائج عندما تسود في المجتمع روح التخاذل والتواكل . لأن أعضاء أي مجتمع يقومون بضغوط على بعضهم بعضاً بسبل رسمية ، وغير رسمية للضبط الاجتماعي وللانصياع لمعايير السلوك الاجتماعيـة المناسبة للمجتمع الذين يعيشون فيه اذا كان الانصياع الاجتماعي ، هو مدى تمسك الفرد بما تتوقعه منه الجماعة ، فان انصياع الفرد للجماعة يزداد ، ويبتعد عن أي سلوك اجتماعي مفرق ، مثل التخاذل او التواكل كلما كانت الجماعة متماسكة ولأن عملية التفاعل الاجتماعي عملية لها اتجاهان ، أي تتضمن التأثير والتأثر ، ولأن التخاذل والتواكل عمليتان من العمليات الاجتماعية المفرقة والتي تصدع بنيـان الجماعـة ، وتؤثران على درجة تماسكهـا فان ظهور مثل هذا السلوك يدل من ناحية أخرى على عدم الانصياع الاجتماعي ، لقيم المجتمع السائدة من ناحية ويدل على عدم تماسك الجماعة من ناحية أخرى ، حتى يمكن القول أن قيام أي فرد ، أو مجموعة من الأفراد ، بسلوك ما يعتمد على مدى توقعهم أن يقبل أو يسكت على هذا السلوك من الأفراد الباقين والمجتمع المحيط بهم . اما اذا توقعوا الرفض والرفض الذي يتبعه المقاومة فانهم لن يقوموا بسلوكهم ، خارجين على العادات والقيم السائدة لأن الخارج عليها يعزل ويقاوم وتتطامن قيمته الاجتماعية على ضوء مفاهيم المجتمع السائدة ، متمعنة الخطأ والصواب .

والمجتمعات الانسانية ، تنحو دائماً نحو تربية ابنائها على تحمل المسؤولية والطاعة ، بالتوازي مع الاعتماد على النفس والاستقلال وتأكيد الذات ، مع الانصياع لقيم المجتمع السائدة طبقاً لحاجات المجتمع لأنه من المعروف أن المجتمعات التي لا يلبي أفرادها وجماعاتها حاجاتها ، ولا ينصاعون لقيمها فانها تنقرض وتنتهي .

وتأتي مقاومة أفراد المجتمع لأي سلوك ، مثل التخاذل أو التواكل مثلا ، ويعتبر خروجاً على الانصياع لثقافة المجتمع وقيمه وأنماطه السلوكية السائدة لأن الناس (أفراد كل جماعة) مجبولون على رفض ومقاومة كل ما يهدد شعورهم بالراحة والأمن في المجتمع ، الناجمة عن الأعياد والائتناس مع المألوف من القيم والأنماط السلوكية التي تقوم عليها حياة المجتمع وقد يؤدي رفض التواكل والتخاذل الى الشجاعة والايجابية والمبادرة فاذا كان المجتمع مهدداً بالاعداء من حوله ، والدمار بروؤس حراب أعدائه وسنابك خيلهم فان المجتمع يرفض أي لمحة تواكل ، أو بارقة تخاذل ، في الذود عن حياض المجتمع وأمنه لأن مثل ذلك السلوك التخاذلي والمتواكل يتعارض مع عادات واتجاهات الدفاع عن النفس المتأصلة في المجتمع ، ومع دوافع هذا المجتمع الراسخة في تأكيد الذات والبقاء .

ونادراً ما يسلك فرد سلوكاً ما ، اذا كان هذا السلوك يحقق أهدافاً واغراضاً شخصية ، تتعارض مع أهداف المجتمع واغراضه . لأن المجتمع لا يسمح له أن يتم سلوكه حتى نهايته ، اذا سمح هو لنفسه ، بالاستمرار بهذا السلوك ، الذي يتعارض مع مصالح المجتمع ، وقيم ثقافته ، وأنماطها السلوكية . ولا يغيب عن البال ان ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه الفرد ، وأنماطه السلوكية ، هي المنظار الذي يرى الفرد العالم من خلاله ولذا فانه سوف يتصرف ويسلك ويسعى الى أهدافه من خلال المدى الذي تسمح به ثقافة المجتمع الذي يعيش فيه والفرد في الجماعة ، التي يتمثل ثقافتها ويتشرب بها بما فيها من قيم وعادات ، وأعراف وأنماط سلوكية ويؤدي تمثل الأفراد في الجماعة لمكونات ثقافتها والتشرب بها ، أن تصبح مكونات تلك الثقافة ، دوافع في تكوينهم النفسي ، وتشكل سلوكهم ، وتحدد قواعده ، مع الاعتراف بتفاوت الأفراد ، بتمسكهم بمكونات

الثقافة من ناحية ، واتفاقهم جميعاً على بعضها وتمسكهم بها ، وسلوكهم ازائها بشكل واحد وأقرب مثل على ذلك عفة البنت .

واذا قبلنا تقسيم مردوخ Murdock (١٩٥٦) لمكونات الثقافة وللعادات الى عادات للتصرف وعادات للتفكير ، عندها نستطيع أن نفسر حدوث التخاذل والتواكل على المستوى الفردي والجماعي والقبول بهما أو رفضهما ومقاومتهما وعندما يرفض أو يقاوم مجتمع ، سلوكاً أو قيمة لخروجها أو تعارضها مع مكونات ثقافية ، وهي هنا مثل رفض ومقاومة المجتمع المحارب أو المهدد بالأعداء ، للتواكل والتخاذل ، فان ذلك المجتمع يحافظ على استمراره وحياته وبقائه لأنه من المستحيل أن يحتفظ أي مجتمع بتماسكه واستمراره ما لم يشترك كل أعضائه في قيم معينة تسود بينهم ، لأن مثل هذه القيم لا تساعد على بقاء المجتمع وتماسكه فحسب ولكنها تساعد أيضاً على حسن التفاعل بين أفراده وشعور الفرد بأنه مقبول في مجتمعه .

ويزداد رفض المجتمع ومقاومته ، لأي تصرف أو سلوك من فرد من أفراده أو فئة أو جماعة من جماعاته ، اذا تطاول وخرق القيم المركزية التي تعطي الثقافة والمجتمع وأنماطه السلوكية ، طابعها المعين الفريد الذي يميزها عن غيرها من الثقافات والمجتمعات ويحفظ لها أمنها وبقاء حياتها .

متى يظهر التخاذل والتواكل ودور المجتمع والتربية في العلاج

الفرد يتمثل ثقافة مجتمعه ، ويتشرب بها ويستوعبها ، وهو بحكم نموه في محيط ثقافة معين يتعرض لنماذج السلوك التي تعتبرها ثقافته مناسبة . وهوبذلك يتعلم ما يتوقعه الآخرون منه ، وما يتوقعه من الآخرين . وهذه التوقعات هي الأساس فيما يسمى بالمعايير الاجتماعية والأدوار الاجتماعية . فكل فرد يسلك في حدود المعايير الاجتماعية التي تمليها الثقافة . فكما أننا ، وعلى سبيل المثال ، نرتدي أزياء معينة لا يمكننا التغيير فيها الا في نطاق حدود معينة . وسوف يكون من الخروج على المعايير أن يرتدي رجل زي امرأة أو العكس ، وكذلك سلوك مسلك التخاذل والتواكل لا يمكن أن يظهر في مجتمع ما ، وعلى نطاق واسع الا اذا غدت المعايير والأدوار الاجتماعية تقبله ولا ترفضه وتقاومه . وهناك أمر آخر ، يحكم ظهور التخاذل والتواكل ، كأثنتين من العمليات الاجتماعية والسلوك الاجتماعي المفرق ، وهو التوقع . فنحن نسلك تجاه الآخرين ، طبقاً لما نتوقعه منهم ، وطبقاً لما يتوقعونه منا .

واذا نظرنا الى الشخصية الانسانية على أنها مجموعة من الأنماط السلوكية المعينة ، ومن الاستجابات المختلفة لمواقف معينة أمكننا القول ، ان السلوك الانساني هو نتاج التفاعل بين الطبيعة الانسانية ، وبين البيئة الاجتماعية ، وبهذا لا نستطيع أن ننسب السلوك الى الذات وحدها ، كما تقول النظريات ، ولا أن ننسب السلوك الى البيئة الاجتماعية وحدها ، كما تقول بعض النظريات الأخرى ، وانما السلوك (وهو هنا التخاذل او التواكل) وظيفة أو عملية اجتماعية تجمع بين الذات والبيئة الاجتماعية في تفاعل مستمر . ولهذا يخطىء الذين يرجعون أسباب انحراف سلوك بعض الأفراد الانسانيين الى ذاتهم الشريرة وحدها ، أو الى ارادتهم الشريرة . كذلك يخطىء ، أولئك الذين يلقون اللوم كله عند حدوث هذا الانحراف في سلوك الأفراد على المجتمع ، وعلى المؤسسات الاجتماعية وحدها ، وانما الرأي السليم السديد هو أن الذات والمجتمع مجتمعين معاً يؤديان الى ظهور الانحراف السلوكي ويسمحان به .

وتأتي أهمية دور البيئة الاجتماعية في تمرير سلوك ما ، أو أي عملية اجتماعية . لأن الفضل الأكبر يرجع الى المجتمع في نقل التراث الاجتماعي والثقافي الى الفرد . وخلال عملية النقل والتشرب تتم عملية ترويضهم على الخضوع والطاعة لاحكام التراث الاجتماعي والثقافي وانماطه السلوكية ، والطاعة لاحكامه ، وقسر وصاياه وقيمه ، حتى تتأكد قدسيته وجلاله مع مرور الزمن ، ولا يخرجون عما يرسمه لهم من حدود ، وما يقرره لهم من أوضاع وقوالب .

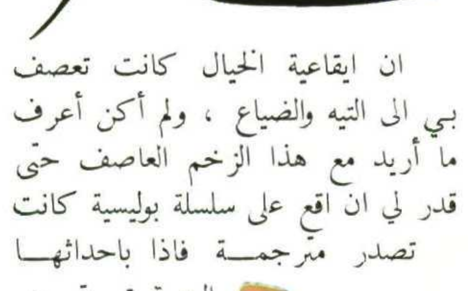
وقصارى القول ، ان التخاذل والتواكل كسلوك اجتماعي ، لا يمكن أن يقوم به ولا يمكن أن يسلكه الفرد الانساني ، طوعاً واختياراً ، الا اذا كانت نتائجه السيئة اجتماعياً تساوي او لا تزيد كثيراً عن الفوائد التي عادت على الفرد بسلوكه التخاذلي او التواكلي مثل حماية الفرد لنفسه وحياته بمثل ذلك السلوك .

وأود أن أشير قبل نهاية هذا البحث الى دور التربية ووظيفتها في تخليص المجتمع من مثل هذا السلوك غير البناء ، ومحاولة محاربته وازالته بالتدريج خلال قيام التربية بعملية نقل التراث وغربلته ، وتغييره ، وتطويره بالتدريج على مراحل متطاولة ، وتستمر سنوات مديدة ●

عيسى الجراجرة – الأردن

«شخصية العدد» ستظهر تباعاً على صفحات «القافلة» .. والفكرة من استحداث هذا الركن هي تعريف القراء بنخبة من الشخصيات المرموقة المعاصرة في المملكة العربية السعودية، وتسليط الأضواء على ما قدموه من معطيات عبر مسيرتهم الحياتية تبرز الجوانب المضيئة لما تبنوه من مواقف وآراء. أسهمت إلى حد كبير في معالجة القضايا الفكرية والثقافية والعلمية والأدبية والتربوية. فانطلاقاً من هذه الفكرة الرامية إلى خدمة الفكر النير والكلمة الهادفة الواعية، التقت القافلة بنخبة من ذوي العلم والفكر والثقافة والتربية والأدب. وأجرت مع كل منهم على انفراد حواراً مستقلاً. وشخصيتنا لهذا العدد الأستاذ:

ابراهيم الناصر



■ حدثنا عن تجربتك في كتابة القصة القصيرة والرواية ..

البدايات غالباً ما تكون صعبة، ويبقى الاصرار على اشباع الهواية التي هي في الواقع نسيج لا تفسير له، شأن أية طبيعة انسانية نتقمصها بدون وراثة. فمنذ وعيت وأنا ألهث في البحث عن أي كتاب جديد أنفرد به في احدى زوايا المنزل لأتم قراءته .. كان حب المعرفة يسري في دمي منذ الحداثة مع الميل الى العزلة والتأمل في العالم السرمدي، ولهذا السبب كنت أحب النجوم لأنها تبقى ساهرة معي حتى يسرقني النوم بعد تمنع ورفض.

ان ايقاعية الخيال كانت تعصف بي الى التيه والضياع، ولم أكن أعرف ما أريد مع هذا الزخم العاصف حتى قدر لي ان اقع على سلسلة بوليسية كانت تصدر مترجمة فاذا باحداثها الرهيبة تسرق مني شفافية «الرومانتيكية» و «ماجدولين المنفلوطي»، فوجدت نفسي بعد فترة من الزمن أحاول أن أنسج على منوال تلك الأحداث ما يتراءى لي أنه في مستوى تلك الأقاصيص، الا

أنني بعد فترة وجيزة استنكرت أن أتبع ذلك النهج الذي يتنافى مع طبيعتي .. على أن لتلك الأقاصيص الخيالية الفضل في أنها شدتني الى القراءة أكثر فأكثر ، فحددت الوجهة التي كنت أبحث عنها فكان أن هـرولت الـى المـدرسة الكلاسيكية–ما بين«هيجو »،«وغوركي »، و«تولستوي »–بأعمالهم الانسانية التي ما زالت تعتبر مناراً للابداع الروائي ..

■ مرت القصة القصيرة على صعيدي الشكل والمضمون بتطورات جذرية منذ بدايات القرن العشرين ، وكان أن تأثر كتاب القصة في الوطن العربي بهذه التطورات ، فـأين يمكننـا تحديد تطور الشكل والمضمون في مجموعاتك القصصية .. ؟

لكل كاتب نهجه في المعالجة الفنية انطلاقاً من خلفيته وتأثراته الفكرية .. وحين يرصد الكاتب حدثاً ما ويبدأ في معاناته ، فانه يعيش التجربة ذاتياً – أي انعكاساً تأثرياً – وهذه المعايشة تتطلب منه رهافة الحس الى درجة الذوبان وليس انعكاساً ميكانيكياً .. والقالب أو الشكل الذي يصوغ به الكاتب معاناته تفرضه طبيعة الحدث أو المضمون .

وبالنسبة لي فلقد ذكرت في اجابتي السابقة أنني تأثرت منذ طفولتي بالمدرسة الكلاسيكية .. ثم الرومانتيكية .. لهذا السبب تتسم كتاباتي بالواقعية الحديثة في أكثر الأحيان ، وان كان الأسلوب الرومانسي يبرز في بعض الأعمال التي عالجتها .. عموماً في تصوري أن الناقد الأدبي هو الأحرى بهذا السؤال وان خلت ساحتنا الأدبية بكل أسف منه ..

■ في مجموعتك القصصية « أرض بلا مطر » كنا نلمس الواقع الاجتماعي والجغرافي بشكل بارز . وكان أبطال قصصك يعبرون عن هموم المجتمع على وجه العموم وتتبدى لنا من خلال مواقفهم وتطور احداثهم معارك الحياة المختلفة



وهموم الانسان في جوعه وفقره ، وفي حلمه بالمستقبل ، وفي تطورة الحضاري من البداوة الى مجتمع المدينة ، ترى هل تجـاوز مجتمعنـا تلك الأزمـات والتحولات التي رصدتها في مجموعتك تلك .. وما هي أهم القضايا الاجتماعية التي ترى أن على القصة اليوم أن تعبر عنها ؟ ..

التفاعل الحضاري لا يمكن أن يتوقف طالما أن الانسان يسعى علمياً الى تجاوز كافة ما يعيق انطلاقته الحياتية .. ورحلة الانسان عبر الأزمان تصور لنا كم عاني ، وكم تجشم ، ولكنه لم يتوقف لأن هذا قدره ومصيره ..

ومن هذا المنطلق .. نستطيع القول ان المجتمع ، أي مجتمع ، هو في حركة نمو مستمرة وصراع دائب في مواجهة ظروف الحياة المعاصرة ، والكاتب عليه أن يرصد ذلك النمو أو الصراع من خـلال الاستيعاب الـذكي للمعطيات والتحولات الحضارية ..

والأزمات التي رصدتها في مجموعتي « أرض بلا مطر » لعلها باقية ، انما ثمة عناصر حضارية اخرى استجدت عليها ، فجعلت لتلك الأزمات مظاهر متطورة فاذا سلمنا بأن ابن القرية والبادية استقر في المدينـــة ، فان لهذه الأخيرة طبيعة أزماتها المختلفة ولست أدعي أنني عالجت كافة تلك المظاهر بل أشعر بالتقصير ، لأنني أخذت في الآونة الأخيرة أقلل من العطاء القصصي أو الروائي متحولا الى أعمال فكرية من نوع آخر ، وأعني بها الأعمال الأذاعية والتلفزيونية والتي أرجو عن طريقها أن أرصد صراع الانسان في مجتمعنا وهو يواجه زخم الظروف الحياتية الحديثة .

وعن الشق الثاني من السؤال فالقصة ينبغي أن تعبر عن الصراع الانساني في كل حقل من حقول حياته بشموليتها وتعدد مناحيها ..

■ لنتحدث عن الرواية ونبدأ بالسؤال عن أهم الظروف الاجتماعية والثقافية التي تساعد على تقدم مستوى الروايـة في أي بلد ، ثم لنتساءل معاً حول الأسباب التي جعلت واقعنا الأدبي يفتقر حالياً الى الروائي الشاب الذي يستطيع استيعاب حركة المجتمع وأن يتناولها خلال عمل روائي متكامل .. ؟

في تصوري أن الحركة الأدبية كل لا يتجزأ ، والرواية من النشاطات الفكرية التي تتأثر سلباً أو ايجاباً بالمناخ السائد ، على أنه ينبغي أن نعترف بأن الحياة المعاصرة وبمـا تحفـل بـه مـن تطور تكنولوجي وسلبيات حضارية تجعل الكاتب لا يلقي ذلك التلهف على نتاجه الفكري .. فالانســان اليوم لم يعـد مهيـأ لقبول الأعمال الأدبية الجادة بل هو يميـل الى مـا هو خفيف وسريع ..

ولعل لوسائل التسلية المتيسرة أثرها في الانصراف الى ما هو سهل ولا يتطلب الاجهاد الفكري .. وهذه الحقيقة ملموسة بالرجوع الى الأعمال الأدبية

التي صيغت خلال القرنين الماضيين وبين هذا العصر .

والروائي الذي نبحث عنه قد يكون موجوداً بيننا ، ولكنه لم يدفع بباكورة انتاجه الى النور ، وقد يأتي في وقت لاحق . . فذلك الفارس لا بد من ظهوره لاضفاء الروح المتوثبة على ما يأتي به الغد .

■ لدينا بعض المحاولات الأولية لكتابة الرواية ، ولم تزل الرواية سرداً قصصياً يسرد الحوادث كما حدثت دون التطرق لخلفياتها وملابساتها ، ثم أن هذا البعض لم يستفد من كل مقومات الشكل الروائي الحديث الذي يستخدم النقلة الى الماضي أو ما يسمى بالمصطلح الغربي الحديث « الفلاش باك » وتيار الوعي ، وتداخل الأحداث ، واستخدام لغة الشعر وادائه المكثف ، فجاءت كل هذه الأعمال متخلفة فنياً . في رأيكم كيف نساعد على ايجاد روائي على غرار « الطيب صالح » ، « عبد الرحمن منيف » ، و « اسماعيل فهد اسماعيل » و « غسان كنفاني » ، وغيرهم في أقطار الوطن العربي ؟

أي عمل فكري يحتاج الى خلفية تراثية وثقافية زاخرة وشحنات متوهجة من التصميم على العطاء الرفيع وتكدس المعاناة مع اشتعالها لهثاً وراء ابراز عمق التجربة الانسانية وزخمها في اصطدامها بالواقع ، ومن خلال صراعها معه . .

والمدارس الجديدة انما جاءت بتلك الاضافات لتبرز سمة العصر الذي نعيشه ونضفي عليه طابع الحياة الحديثة . . ومع ذلك فان لكل عمل منحاه الذي يفرضه الحدث وانعكاساته وليس بالضرورة التقليد أو اقحام ما لا يتطلبه الموقف لمجرد الافتعال . . وعن الروائيين العرب الذين ذكرت ، فهؤلاء كانوا يملكون الرؤية الواعية لمعاناة الانسان المعاصر . . رصدوها برؤية وأضافوا اليها أفقهم الخاص



فجاءت أعمالهم نسيج وحدة وتجربة متكاملة . .

■ ما هو تقويمكم لعطاءات الشباب في مجال القصة القصيرة وهل يمكن لنا أن نسمع رأيكم فيما قدمته الأقلام القصصية التالية :

محمد علوان — جارالله الحميد — عبدالعزيز مشري — جبير المليحان — عبدالله السالمي — فهد الخليوي . .

عطاءات الشباب في مجال القصة القصيرة تبشر بمستقبل واعد ، ولا أكتمك أنه لم يتيسر لي قراءة الكثير مما قدمه هؤلاء قراءة فاحصة مما يجعل حكمي سابقاً لأوانه ، وان كنت لا أعتقد أن تقويمي له تلك الأهمية ، فهؤلاء الشباب سوف يستمرون في عطائهم ، وما ينفع سوف يبقى على الأرض ، أما الزبد فيذهب جفاء . .

■ ما رأيكم في روايات كل من : عبدالله سعيد جمعان ، حامد دمنهوري ، غالب حمزة أبو الفرج . . ؟

عبدالله سعيد جمعان ، لم أقرأ له ، أما المرحوم حامد دمنهوري — فقد كتبت عن نتاجه دراسات مطولة منذ عدة سنوات وقبل وفاته . . وغالب حمزة لا أذكر أن له روايات ، انما يكتب القصة القصيرة منذ عدة سنوات . .

■ ما توقعاتكم للحركة الأدبية في مدى الأعوام العشرة القادمة في مجالي القصة القصيرة والرواية . . ؟

من الصعب التكهن بما سيحدث خلال حقبة طويلة لا سيما بالنسبة للرواية حيث أرى شحاً في تناولها ، وربما خشية من طرق مجالها الذي يعكس في الغالب الأعم قلة المتابعين لحركتها وبالتالي مدارسها بعكس القصة القصيرة التي أرى ميلا واضحاً الى تناولها كتابة أو قراءة . . والمؤسف أن الفتاة السعودية لم تعد تشارك بعطائها في هذا الميدان شأنها في الماضي ، ولا أعرف تعليلا لهذه الظاهرة سوى تفسير واحد ألا وهو السلبية وقلة المتابعة ●

اجرى اللقاء : علي الدميني — هيئة التحرير

ابراهيم الناصر الحميدان في سطور

متزوج

المستوى الدراسي : الكفاءة

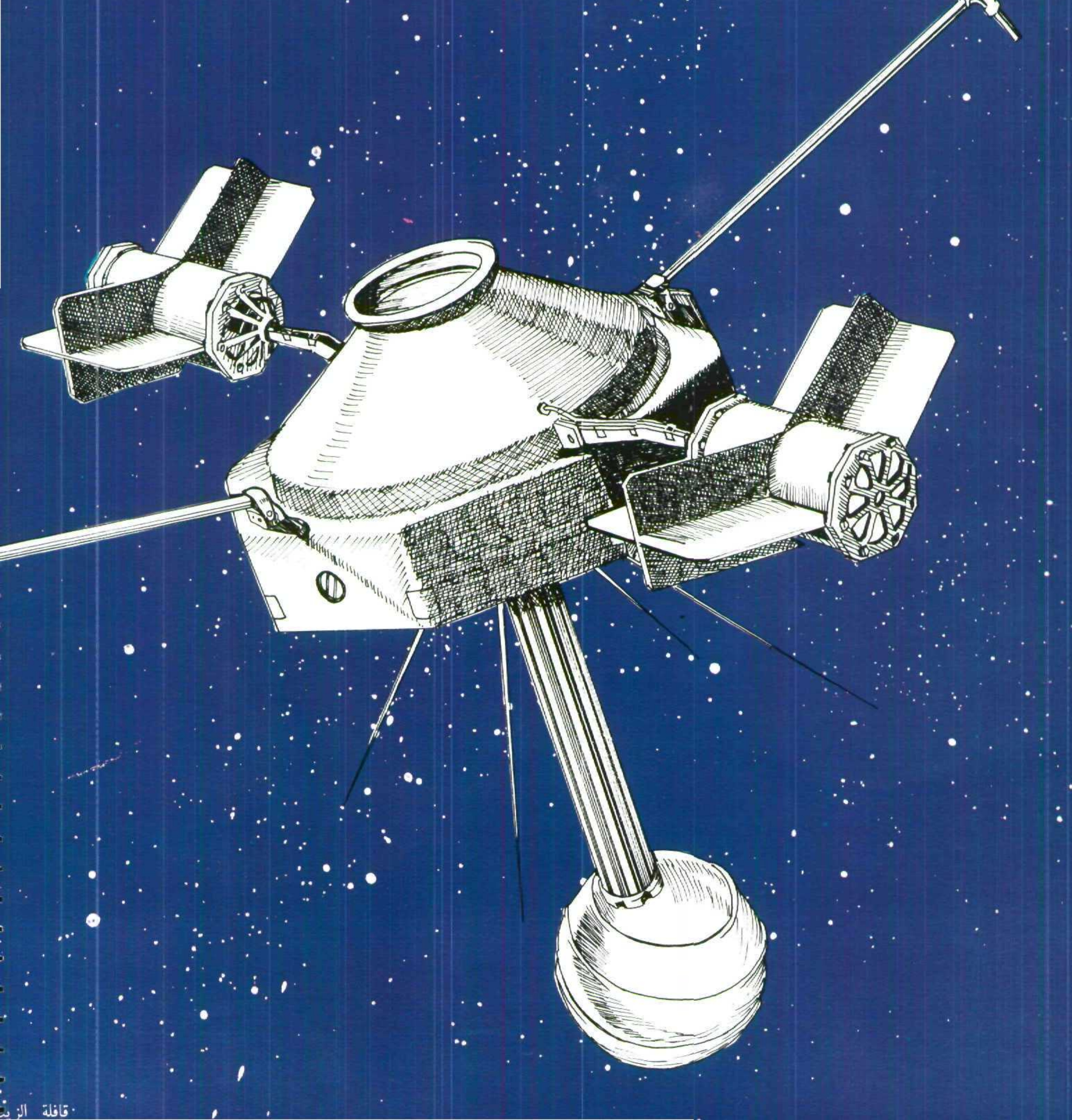
الانتاج الفكري :

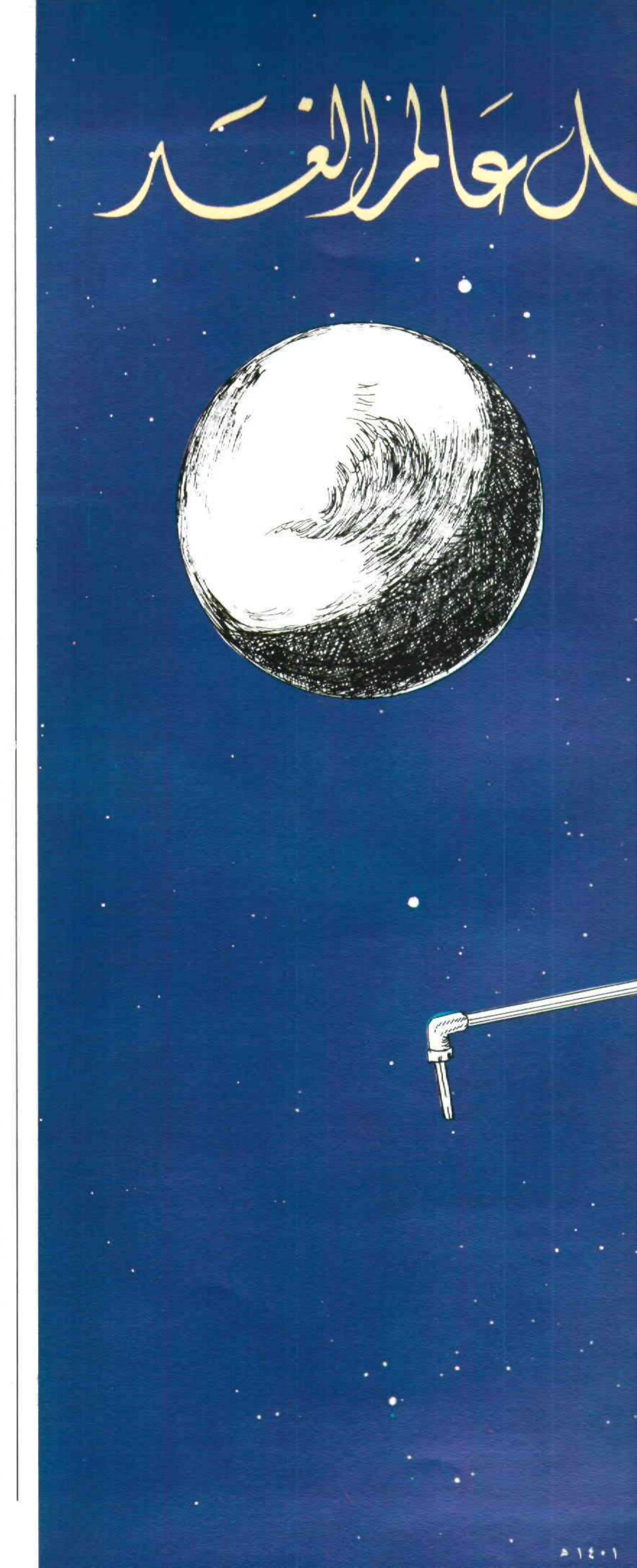
* مجموعة قصص بعنوان « أمهاتنا والنضال صدرت في سنة ١٣٨٠ هـ
* رواية « ثقب في رداء الليل » صدرت في سنة ١٣٨١ هـ .
* مجموعة قصص بعنوان « أرض بلا مطر » صدرت في سنة ١٣٨٥ هـ .
* رواية « سفينة الموتى » صدرت في سنة ١٣٨٩ هـ .
* مجموعة قصص بعنوان « غدير البنات » صدرت في سنة ١٣٩٧ هـ .
* رواية «.عذراء المنفى » صدرت في سنة ١٣٩٨ هـ .

وقد كتب عدة مسلسلات تلفزيونية واذاعية . . وأمد الصحف بالكثير من القصص والمقالات الأدبية والاجتماعية .

تكنولوجيا اليوم من أج

بقلم: الأستاذ شفيق راتب الناظر





ان ما نقدمه للعالم اليوم من معطيات علمية وتكنولوجية ، ستنعكس آثاره على عالم الغد المليء بالتحديات الحضارية . ففي عصرنا الحاضر ، عصر العلم والتكنولوجيا ، تتوفر امكانات وقدرات نستطيع من خلالها رسم ملامح الغد وتحديد أبعاده . فالتكنولوجيا كانت وما زالت تشكل القوة المحركة للتغيرات الجذرية التي دفعت بأجيالنا الحاضرة الى الولوج في مرحلة جديدة من مراحل التخطيط للمستقبل وسبر أغواره ولججه .

فمنذ أن بدأت الطفرة التكنولوجية كانت احدى سماتها البارزة ظهور فروع جديدة متعددة في العلم والتكنولوجيا مهّدت لإحداث تغييرات جذرية في أساليب الانتاج ، كما ساعدت على سرعة ظهور الاكتشافات العلمية في مختلف المجالات محرزة بذلك تقدماً سريعاً في ميدان العلم والتكنولوجيا .

فالانشطار النووي لم يؤد الى اقامة صناعة الطاقة النووية فحسب ، بل فتح أيضاً آفاقاً واسعة أمام استخدام النظائر المشعة ومصادر الاشعاع في مجالات العلم والتكنولوجيا كالصناعة والزراعة والطب ، وتحلية مياه البحر لأغراض الشرب . كما أن انطلاق الأقمار الصناعية وسفن الفضاء والصواريخ ، ورحلة الانسان نفسه الى القمر وعودته الى الأرض ، قد أدى أيضاً الى ظهور مفاهيم جديدة عن الغلاف الجوي للأرض ، أفضت الى اكتشاف الأحزمة الاشعاعية المحيطة بالأرض ، واماطة اللثام عن الكثير من أسرار النظام الشمسي ، تلك الأسرار التي ظلت مستغلقة على الانسان منذ أزمان موغلة في القدم . واتسعت معرفتنا بالكون حتى لقد أعاد العلماء النظر في العديد من قوانين المجرات النجمية التي كانت مفهومة من قبل .

ان التقدم الذي أحرزه الانسان في استكشاف الفضاء واستكناه أسراره ، قد انعكست آثاره بشكل مباشر وغير مباشر ، على تطور مجالات المعرفة الأخرى ، مثل الأرصاد الجوية والجغرافيا والجيولوجيا ، كما زودت الأقمار الصناعية الانسان بوسائل فعالة ليس فقط لاعادة النظر في كل ما يمت للأرض وللقارات وللمحيطات بصلة ، ولكن أيضاً لاكتشاف المعادن والتنبؤ بالأحوال الجوية بشكل أكثر دقة . هذا فضلاً عما تلعبه الأقمار الصناعية الآن في حقل الاتصالات اللاسلكية والتليفزيونية وفي الأرصاد الجوية .

لقد أدى التطبيق العلمي المتطور الى تقدم « المكْنَنة — .Automation» ، الى مرحلة جديدة متطورة في مجالات الانتاج .. كما أدى استخدام العقول الالكترونية على نطاق واسع الى تصنيف الكمّ الهائل من المعلومات التي تتصل

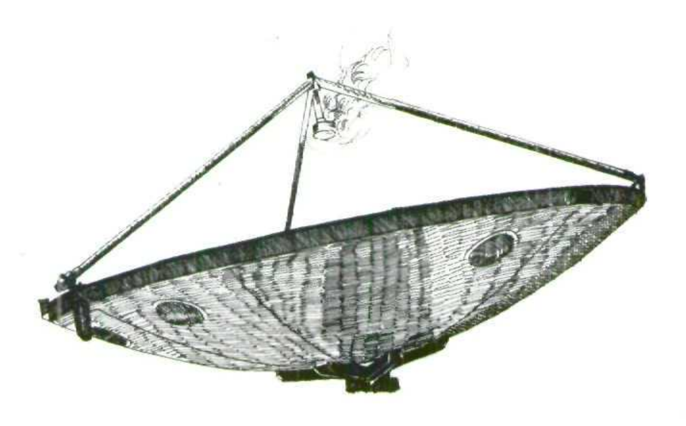
بأساليب الادارة في القطاعين الصناعي والاقتصادي. وهناك عدد من دول صناعية متقدمة تستخدم العقـول الالكترونية في ادارة منشآتها التكنولوجية والانتـاجية والاقتصادية.

ويطلق بعض العلماء في أوروبا والولايات المتحدة، على الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة أسماء مختلفة منها: «الثورة الصناعية الثانية» و«الثورة التكنولوجية». والحقيقة أن هذه التعاريف لا تعكس الطبيعة الحقيقية للثورة التكنولوجية. فهي لم تؤثر على الانتاج فحسب بل أثرت أيضاً على سائر مجالات النشاط في المجتمع الدولي. كما لم يأخذ هؤلاء العلماء في اعتبارهم السمات الخاصة لهذه الثورة، ولا نتائجها الاجتماعية ـ الاقتصادية. ولعل من أبرز هذه السمات هو التأثير المتزايد للعلم في شتى أوجه النشاط الانساني، ودوره المتزايد كقوة منتجة. ففي العقدين الخامس والسادس من القرن الحالي، ازداد عدد العاملين في المجال العلمي ازدياداً ملحوظاً، كما ازدادت المبالغ المخصصة للبحوث العلمية. وليس من شك في أن الدور الجديد الذي يضطلع به العلم الآن يتمثل في مدى فعاليته في تحديد مسار التطبيق واتجاه بحوثه النظرية ليس لسد احتياجات الانتاج المباشرة فحسب، ولكن لسد احتياجاته هـو نفسه.

ان السمة المميزة للعلم المعاصر هي التصنيع، أي أنه أصبح صناعة في حدّ ذاته تعتمد على المعدات والأجهزة المعقدة، والمواد، والعناصر الأخرى التي تجود بهـا التكنولوجيا من أجل نجاح البحث والتجربة. وقد أدى هذا بدوره الى قيام صناعات خاصة بتزويد معاهد البحوث ومعاملها بكـل ما تحتاجه.

لقد كان العلم والتكنولوجيا وثيقي الصلة ببعضهمـا البعض. فعبر التاريخ البشري، كان كل منهما يؤثر في





الآخر. وفي الوقت نفسه، هناك سمات خاصة جديدة تلاحظ في التكنولوجيا الحديثة وان كانت السمة الأساسية هي تزايد مساهمة العمـل الذهني في الانتاج وتضاؤل مساهمة الانسان المباشرة في العمليات اليدوية فيه بسبب استخدام المكننة. فالثورة الصناعية في القرن الثامن عشر اقتصرت على عدة دول أوروبية. في حين أن الثـورة العلمية والتكنولوجيا المعاصرة قد امتد تأثيرها الى معظم بلدان العالم، بحيث أصبح من الممكن تطبيق نتائج أبحاث الفضاء واكتشافاته في تحسين وسائل الاتصال بشكل فعال، وكذلك في أجهزة الأرصاد والملاحة الجوية.

وهكذا أخذت دول العالم أجمع، تلمس تأثيرات الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة، وان كان أمام دول العالم الثالث الكثير من المصاعب والعقبات حيال استخدام انجازاتها المتعددة. فالنقطة المهمة هنا، هي أن النتائج الاقتصادية والاجتماعية لهذه الثورة تختلف من بلد الى آخر باختلاف البنية الاجتماعية والاقتصادية لكل بلد، ودرجة تطوره. وقد لوحظ في بداية تطور العلوم الطبيعية في الخمسينات من القرن الحالي، ظهور اتجاهـات جديدة تميزت بكثافة التطبيقات العلمية، وقصر الوقت بين ظهور الاكتشاف العلمي وتطبيقه، وكذلك قيـام العديد من المعاهد المتخصصة. ومن جهة أخرى أدت الاحتياجات العلمية الى ظهور مجالات جديدة من المعرفة في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية. فالى جانب ظهور علم النفس الاجتماعي والاقتصاد القياسي ـ Econometrics. وعلوم أخرى، تغيرت طبيعة ومناهج البحوث الاقتصادية واللغوية والتاريخية والفلسفية.

أما في مجال انتاج الصناعات الحديثة، فقد زادت معدلات نموها زيادة حادة في السنوات الأخيرة، وعلى وجه الخصوص في العقول الالكترونية ومعدات محطات الطاقة الذرية، والأجهزة التي تزود بها سفن الفضاء، وفي المعدات الأخرى التي تخدم الصناعات المتطورة. وكان

معدل النمو في بعض هذه الصناعات يفوق معدل نمو الصناعات الأخرى المماثلة التي كانت تحتل ، حتى وقت قريب ، المكانة الأولى في الانتاج العالمي ، مثل صناعة السيارات وصناعة تكرير البترول . وتنقسم القطاعات الاقتصادية حالياً ، من زاوية الثورة العلمية والتكنولوجية الى « القطاع التقليدي » وهو القطاع الذي ينمو ببطء أو يكون في حالة توقف تقريباً عن النمو مثل صناعة الفحم والنسيج والسكك الحديدية ، و « القطاع المتقدم » وهو الذي ينمو بسرعة كبيرة مثل الصناعات الكيماوية والكهرباء والطيران . وهناك فروع جديدة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالتكنولوجيا المعاصرة من بينها الصناعات الالكترونية ، وصناعة الطاقة النووية .

ان بناء محطات الكهرباء التي تعمل بالطاقة النووية بشكل اقتصادي ، انما يعتمد على المستوى التكنيكي للصناعات الحديدية وغير الحديدية التي تزود صناعة الكهرباء بالمواد النووية المختلفة والمواد الأخرى ، كما يعتمد على الأعمال الهندسية التي تزود هذه المحطات بالمعدات المطلوبة ، فضلاً عن قدرات نظم الكهرباء الموجودة في البلدان المعنية التي تقام بها مثل هذه المحطات . وهكذا نرى أن تطور الصناعات الجديدة التي جاءت وليدة الثورة العلمية والتكنولوجية ، يعتمد ، الى حد كبير ، على تقدم مستوى الهندسة ، وعلى الصناعات الكيميائية .

تغير في سمات الانتاج

ان استخدام الأساليب التكنولوجية الحديثة ، كما أسلفنا ، قد أحدث تغيرات جذرية في سمات الانتاج . فعلى سبيل المثال كان استخدام الكائنات الحية الدقيقة محصوراً في عدد معين من المصانع الكيميائية ومعامل انتاج الأغذية . أما الآن ، فهي تستخدم على نطاق واسع في مصانع البتروكيميائيات لانتاج البروتينات الصناعية ، وفي التعدين . ومن السمات البارزة للثورة العلمية والتكنولوجية ، توسع البحوث العلمية وتشعبها وخاصة في مجالي الفيزياء النووية والفضاء ، ثم تطور تصميم المعدات والآلات الثقيلة ولا سيما في مجال الطيران . وكان من نتيجة هذا التطور أن ظهرت مشاريع علمية وتكنولوجية اشتركت في انجازها عدة دول من شأنها حل عدد من المشاكل الرئيسية التي نشأت عن التطور العلمي والتكنولوجي ومن ثم مواجهة التكاليف الباهظة التي تتطلبها مثل هذه البحوث . ومن جهة أخرى ، أدت التغيرات البنيوية التي حدثت في نظام الاقتصاد القومي للبلدان المتقدمة صناعياً نتيجة للثورة العلمية والتكنولوجية ، أدت الى التأثير على دور العمل الذهني في العمل الاجتماعي ككل ، مما ترتب عليه اعادة بناء نظم التعليم والتدريب المهني الحالية .

ولعل من نتائج هذه الثورة العلمية والتكنولوجية تأثيرها على العلاقات الاقتصادية الدولية ومن ثم تأثيرها على بنية التجارة الدولية وتركيبها . فعلى سبيل المثال ، ارتفعت الصادرات من البضائع المصنعة الجاهزة في الفترة ما بين عامي ١٩٥٥ و ١٩٦٤ ، الى حوالي ثلاثة أضعاف ، أو ثلاثة أخماس حجم صادرات الدول المتقدمة صناعياً . بينما زاد حجم التجارة ككل الى حوالي الضعف . وازداد هذا الاتجاه بروزاً في السنوات الأخيرة مع ظهور منتجات الصناعات الجديدة الممثلة في العقول الالكترونية ومعدات محطات الطاقة النووية . هذا على الرغم من أن نصيب هذه المنتجات من حجم التجارة الكلي كان محدوداً .



أما الاتجاهات الرئيسية للثورة التكنولوجية فتتلخص فيما يلي :

* مصادر الطاقة المتوفرة بسبب تطور أساليب جديدة لتوليد الطاقة ، كالمولدات المغناطيسية الهيدروديناميكية التي تحول حرارة الغازات المؤينة المرتفعة الحرارة الى كهرباء بعد مرورها على مجال مغناطيسي .
* التجانس بين الانسان والآلة بعد اختراع العقول الالكترونية .
* التعمق في طبيعة العمليات البيولوجية حيث أن الاكتشافات التي تحققت في البيوكيمياء والميكروبيولوجيا منذ منتصف القرن الحالي ، مكنت العلماء من تفسير « ميكانيزم » الوراثة والشفرة الوراثية هذه هي الاتجاهات الثلاثة التي ذكرها « برنال » ، ويضيف اليها العلماء اتجاهاً رابعاً آخر هو « غزو الفضاء » الذي يؤثر ، عاماً بعد عام ، على تطور التكنولوجيا والهندسة والبحث العلمي ومعرفة الكون ، والذي سيساعد على حل العديد من المشاكل في فيزياء الجسيمات الأولية والفلك والجيولوجيا وغيرها من العلوم ●

شفيق الناظر / الدمام



الخطوط الحديدية السعودية

قافلة خير على طريق التقدم

شق الإباء طريق الخير في بيدٍ ... من الصحاري بها الأقوات تُفتقدُ
فسار في مهمه البيداء قاطرةٌ ... ترنو إليها نسورُ الطيرِ والأسُدُ
عبدُ العزيز بنى مجداً نخلّده ... ذكرا إليه بناةُ المجد تجتهدُ



في التاسع عشر من محرم ١٣٧١ هـ افتتح جلالة الملك عبد العزيز ، رحمه الله ، الخط الحديدي الذي يربط الدمام بالرياض ، ومنذ ذلك الحين حتى اليوم والقطارات تسير عليه ذاهبة آيبة تنقل المسافرين وتحمل البضائع بين مختلف المدن والمحطات ، التي تمر بها ، فينتقل معها الخير ويحل الرخاء .

لمحة تاريخية عن السكك الحديدية

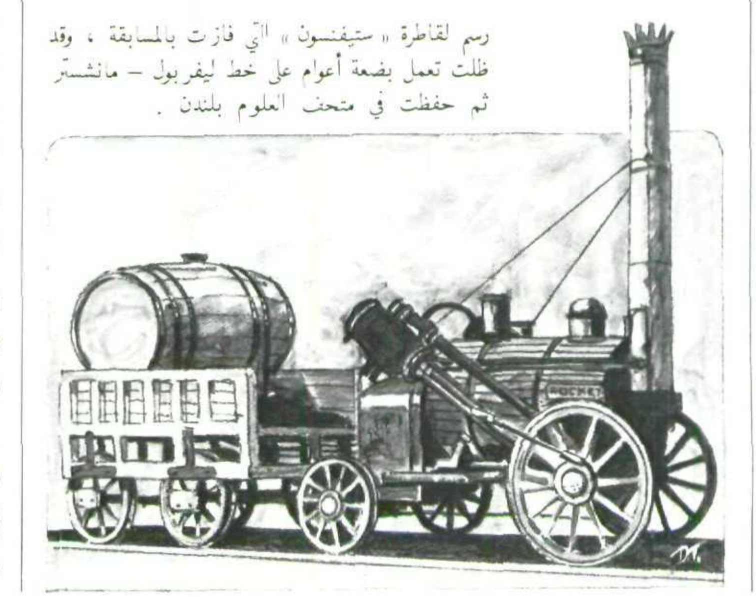
تسمى السكك الحديدية في بعض البلدان « الطرق الحديدية » وفي بعضها « الخطوط الحديدية » أو « خطوط السكك الحديدية » . وأياً كانت التسمية فالقصد واحد ، والتعبير عنه معروف وواضح . وتطلق كلمة القطار عادة على المحرك والعربات ، أي على القاطرة والمقطورات معاً .

وقد عرّفت الموسوعة البريطانية السكك الحديدية بأنها تتشكل من أربعة عناصر . أولها الخط — وهو عبارة عن قضيبين متينين متوازيين من الحديد . سطحهما العلوي أملس يسهل انزلاق العجلات عليه . وثانيها المقطورات — وهي عبارة عن عربات ذوات مقاعد للركاب أو ذوات حواجز وأسطح تتفق مع غرض الاستعمال ونوع المواد المنقولة . وثالث العناصر العجلات — وهي شبيهة بالبكرات الحديدية تحمل العربات وتنزلق بسهولة فوق الخطين المتوازيين . أما العنصر الرابع فهو المحركات ، أو القاطرات ، التي تسحب العربات على الخطين الحديدين .

وتختلف المسافة أو « السعة » بين الخطين من قطر الى آخر ، ومنها ما يسمى بالخط الرفيع أو الضيق ، ومنها ما يسمى بالخط العريض أو الواسع . والخط الذي يغلب استعماله في معظم البلدان الأوروبية وأمريكا الشمالية هو الذي سعته أربع أقدام وثماني بوصات ونصف البوصة ، حوالي ١٤٥ سم . وفي اسبانيا والبرتغال يستخدمون خطوطاً عرضها خمس أقدام وست بوصات ، وفي روسيا خمس أقدام فقط . وفي الهند خمس أقدام ونصف القدم غالباً ، لكن هناك خطوطاً أضيق كذلك . أما بلاد اليابان فكانت تستخدم خطوطاً عرضها ثلاث أقدام ونصف القدم . وفي استراليا يستخدمون ثلاثة قياسات مختلفة الأمر الذي أدى الى عدم تطور السكك الحديدية فيها .

وأول من استخدم القطار البخاري هم الانجليز وكان ذلك في القرن السادس عشر وظل استخدامه مقصوراً على نقل المعادن الى الأنهار والموانىء ، وخاصة في اسكتلندا وانجلاند وجنوب مقاطعة ويلز ، نحو قرنين من الزمان .

وفي عام ١٨٠٤ استطاع المهندسون في مقاطعة ويلز أن يطوروا استخدام الآلة البخارية فاستطاعوا أن يسحبوا بواسطتها عشرة أطنان من خام الحديد . وفي عام ١٨٢٩ أقيمت مسابقة بين مصممي الآلات البخارية ، على مقربة من ليفربول في انجلترا ، وقد حصل المهندس « جورج ستيفنسن » على الجائزة الأولى وقدرها ٥٠٠ جنيه انجليزي (٤٠٠٠ ريال سعودي) ولا يزال المحرك الذي صممه محفوظاً في متحف العلوم بلندن . وفي عام ١٨٣٠ افتتح أول خط حديدي لنقل الركاب في العالم ، وكان بين ليفربول ومانشستر بانجلترا . وبعد ذلك أخذ المهندسون يتنافسون في تصميم المحركات والعربات لتناسب كل قطر وغرض .



رسم لقاطرة « ستيفنسون » التي فازت بالمسابقة ، وقد ظلت تعمل بضعة أعوام على خط ليفربول — مانشستر ثم حفظت في متحف العلوم بلندن .

لمحة تاريخية عن سكة الحديد السعودية

بدأ العمل في انشاء خط السكة الحديدية على بعد أمتار قليلة من مياه الخليج العربي ، الى الشرق من مدينة الدمام ، في شهر ذي القعدة من عام ١٣٦٦ هـ ، أكتوبر ١٩٤٧ م . وفي ربيع الثاني ١٣٦٨ هـ ، فبراير ١٩٤٩ م ، كان الخط قد بلغ الظهران وأخذ اتجاهه الى بقيق . وفي جمادى الأولى ١٣٦٩ هـ ، مارس ١٩٥٠ م ، وصل الخط الى الهفوف ، وكانت أعمال التمهيد والرصف قائمة على قدم وساق باتجاه حرض التي بلغها في شهر ذي القعدة ١٣٦٩ هـ ، سبتمبر ١٩٥٠ م . وفي رمضان ١٣٧٠ هـ ، يونيه ١٩٥١ م ، كان العمل في مد الخط قد وصل الى الخرج وأخذ يتجه الى الرياض فبلغها في محرم ١٣٧١ هـ ، اكتوبر ١٩٥١ م . وفي اليوم التاسع عشر من ذلك الشهر ، العشرين من أكتوبر ، احتفل رسمياً بافتتاح الخط في الرياض بحضور صاحب الجلالة المغفور له الملك عبد العزيز .

١

٢



٣



١ – صاحب الجلالة المغفور له الملك عبدالعزيز يجلس في السرادق الذي أقيم في الرياض بمناسبة افتتاح سكة الحديد في محرم ١٣٧١ هـ أكتوبر ١٩٥١ م .
٢ – صورة أخذت عام ١٩٥٢ تبين عربة « بـد » الخاصة بنقل الركاب تمر بعدد من الجمال التي كانت تعتبر ، حتى أمد قريب ، وسيلة النقل الوحيدة في الصحارى .
٣ – صورة من الأرشيف التقطت عام ١٩٥١ ، وهي تمثل محطة سكة الحديد الموقته في الهفوف آنذاك .

١

٢





٣

١ – صورة من الأرشيف التقطت عام ١٩٤٨ بالقرب من الظهران ، وتبدو القاطرة وهي تجر عدداً من العربات المحملة بالأخشاب المستخدمة في انشاء خط سكة الحديد . ٢ – احدى قاطرتين من نوع ديزل قوة الواحدة منهما ١٥٠٠ حصان ، التقطت هذه الصورة في فبراير ١٩٥٤ . ٣ – القطار يعبر الجسر الحديدي الذي يربط الدمام بالميناء . وقد أخذت هذه الصورة في نوفمبر ١٩٥٩ غير أن تلك المنطقة الضحلة قد طمرت الآن وبقيت الصورة للتاريخ . ٤ – على مقربة من الهفوف أخذت هذه الصورة عام ١٩٥٤ ، وهي لثلاث عربات من نوع « بـــد » . ٥ – التقطت هـــذه الصورة في مارس ١٩٥٩ لورشة سكة الحديد بالدمام .

أعمال الانشاء

عهدت حكومة المملكة العربية السعودية الى شركة الزيت العربية الأمريكية (أرامكو) بالاشراف على تنفيذ المشروع . فاستقدمت الشركة لذلك المهندسين والمساحين والفنيين في مختلف الأعمال والمهن اللازمة . وبطبيعة الحال لم يكن العمل سهلا نظراً لحالة الطقس من ناحية ، ولطبيعة الأرض التي يمر فيها الخط من ناحية أخرى ، ناهيك عن ضرورة استيراد مواد الانشاء والأدوات والمعدات وتوفير الخدمات المساعدة للعاملين في المشروع وما يلزمهم من مرافق للسكن والطعام والعلاج وما الى ذلك .

استغرق انشاء الخط الحديدي نحو أربع سنوات وبضعة أشهر ، ابتداء من الدمام على الخليج العربي ، ومارًا بالظهران — المركز الاداري لأرامكو ، ثم بحقول الزيت في مناطق بقيق والاحساء وحرض . ثم اتجه الخط الى الغرب ماراً بصحراء الدهناء وتلالها حتى الخرج حيث يزرع الكثير من الخضار والحبوب والفواكه ، ومنها الى الرياض عاصمة المملكة . وبهذا يكون الخط الرئيسي قد قطع ٥٦٢ كيلومتراً ، من الدمام الى الرياض .

ومع أن الجزء الأكبر من طريق الخط لم يتطلب الكثير من الرصف ، الا أن العاملين واجهوا صعوبات في بعض المناطق السبخة وفي رمال الدهناء . ومما يذكر أن جرافة قد اختفت كلياً في احدى المناطق السبخة ، كما واجه العمال صعوبات أثناء مد الخط في الرمال المتنقلة . وان كان العمال قد اضطروا ، في بعض الحالات، الى شق طريق للخط في بعض التلال ؛ فقد اضطروا كذلك الى ردم بعض المنخفضات في الدهناء ، ومنها ما بلغ ارتفاع الردم فيها نحو تسعة أمتار . أما من حيث سرعة مد الخط وانشائه فقد كانت متفاوتة ، ففي الدهناء كان في بعض الحالات لا يزيد على مئة متر في اليوم في حين كان يصل الى نحو ٢٠٠٠ متر يومياً في المناطق التي لا تحتاج الى ردم أو كان الردم فيها قليلاً جداً .

أطوال الخط

يبلغ طول الخط الرئيسي ٥٦٢ كيلومتراً ، وهو الممتد بين الدمام والرياض ، كما أسلفنا . وهناك وصلة طولها ١٧ كلم تربط ميناء الدمام بمحطة سكة الحديد الرئيسية بمدينة الدمام . كما توجد فروع أخرى للخط مجموع أطوالها ١٤٠ كلم وهي تربط الخط الرئيسي بكل من مصنع الأسمدة (سافكو) بالدمام ، ومشروع الري والصرف بالاحساء ، ومصنع الاسمنت بالاحساء أيضاً ، ومنطقة شحن المحروقات التابعة لبترومين في الظهران ،

٤

٥

ومركز بترومين في الريـــاض وكذلك مصنع الاسمنت في الرياض . أما عرض الخط فهو ١٤٣٥ مليمتراً وهو القياس المستخدم في معظم أقطار العالم .

أعمال الصيانة

لسكة الحديد ورشة صيانة رئيسية في الدمام ، وأخرى يجري تجديدها في الرياض . وتقوم الورشة الرئيسية بجميع أعمال الصيانة على اختلاف أنواعها سواء كانت في العربات أو المحركات ، ويعمل فيها عدد من الفنيين السعوديين وغيرهم . كما يوجد على مقربة من الورشة مخازن لقطع الغيار التي تلزم لذلك .

أما صيانة الخط فقد عهد به الى شركة مقاولة اتخذت لها مركزاً في الهفوف . ويجري الآن تجديد الخط نفسه بقضبان حديدية وعوارض خشبية جديدة وما يلزم من مسامير وأوتاد ومقابض وغير ذلك . وقد تم حتى الآن تجديد ٣٥٠ كيلومتراً ، والعمل جار في انجاز القسم الباقي المزمع تجديده ، وطوله حوالي مئة كيلومتر . أما تكاليف التجديد الآنفة الذكر فتبلغ ٥٩٣ مليون ريال سعودي .

ومما تجدر الاشارة اليه أن هناك نحو مئة كيلومتر بحالة جيدة اذ أنه سبق تجديدها قبل حوالي خمس سنوات .

أعمال النقل والحركة

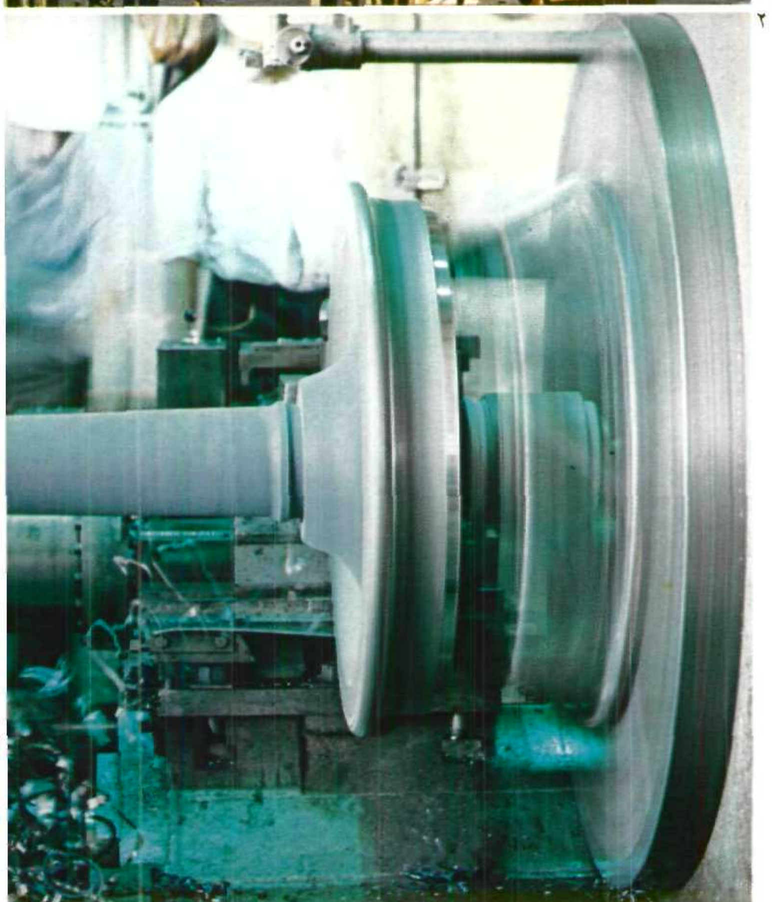
عندما أنشئت سكة الحديد قبل نحو ثلاثين سنة كان الرأي السائد هو أن البضائع ستحتل المقام الأول في عملية النقل وأن عدد الركاب لن يتجاوز خمسين ألف راكب كل عام . لكن الاحصاءات دلت على أن عدد الركاب في العام الأول بلغ أكثر من مئتي ألف راكب. وفي العام المالي ١٣٧٠/١٣٧١ ه، ١٩٥١ م ، بلغ مجموع الركاب ٤٠٧١٤٧ راكباً ، كما بلغ عدد عربات الشحن المحملة في ذلك العام ٥٣٦٨ عربة ، وكان متوسط حمولة العربة منها ٢٩.٧ طناً .

وبتطور وسائل النقل في المملكة وشق العديد من الطرق وكثرة استعمال السيارات ، وكذلك الطائرات ، بين الظهران ومدينة الرياض ، تطور أيضاً عدد الركاب وشحن البضائع بالسكة الحديدية ، فزاد ونقص وتغير . ففي عـــام ١٣٩١ ه مثلا ، بلغ معدل نقل الركاب حوالي ٣٣٤ راكبـــاً يومياً . بينمـــا بلغ المعدل اليومي لنقل البضائع حوالي ٢٧٧٧ طنـــاً والمحروقات ٨٣٣ طنـــاً ، ثم زاد في السنوات التاليـــة لذلك زيادة ملحوظة .

١



٢



حركة النقل عام ١٤٠٠ هـ

يسير يومياً قطار ركاب واحد من الدمام الى الرياض وآخر من الرياض الى الدمام . ويبلغ معدل عدد الركاب في كليهما معاً حوالي ٩٠٠ راكب يومياً . كما يسير قطار للبضائع يومياً في كل اتجاه . ويبلغ المعدل اليومي لوزن البضائع المنقولة حوالي ٥٠٠٠ طن . وفي حين نجد أن انتقال الركاب من الدمام الى الرياض وبالعكس يكاد يكون متساوياً في أغلب الأوقات ، نرى أن البضائع تنتقل غالباً من الدمام الى الرياض وأهمهـا المحروقـات والاسمنت والخشب والحديد والاسمدة الكيماوية والحبوب .

وقد كانت قطارات الركاب تسير حتى وقت قريب بمعدل قطارين يومياً في كل اتجاه الا أنه نظراً لأعمال التجديد، التي تجري حالياً على الخط . قد روئى الاكتفاء بقطار واحد وزيادة عدد العربات فيه .

هذا ويسير قطار خاص من الدمام الى الاحساء مرة كل أسبوع ، فيغادر الدمام مساء الأربعاء ويعود مساء الجمعة . أما أكثر الأيام ازدحاماً في كلا الاتجاهين فهي أيام الأعياد والعطل المدرسية والعطل الأسبوعية .

بيان نقل الركاب والبضائع والمحروقات لجميع المحطات للسنوات السبع الأخيرة ١٣٩٣ – ١٤٠٠ هـ

	السنوات المالية	الركاب (بالألف راكب)	البضائع (بالألف طن)	المحروقات (بالألف طن)
١	١٣٩٤–٩٣	١٩٠.٧	١١٤٧.٥	٢٨٣.٦
٢	١٣٩٥–٩٤	٢٠٣.٣	١٠٠٧.٢	٣٠٩.٩
٣	١٣٩٦–٩٥	٢٠٩.٧	١٠٠٨.٣	٢١٥.٠
٤	١٣٩٧–٩٦	٢٥٦.٥	١٧٩٠.٨	١٩٦.٥
٥	١٣٩٨–٩٧	٢٩٩.٤	٩٩٥.٠	٣٢٥.٩
٦	١٣٩٩–٩٨	٢٦٤.٠	١٠٠٧.٠	٣٩٥.٥
٧	١٤٠٠–٩٩	٢٧٥.٤	١٠٥٢.٠	٤٠٠.٧



٣

١ – عربات عديدة وبضائع متنوعة أحضرتها القاطرات من الميناء الى ساحة الجمارك بالدمام . ٢ – عندما تسير العجلات مسافة تتراوح بين ٣٥٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ كيلومتر يؤتى بها الى الورشة حيث يجرى خرطها حسب مقاييس معينة . ٣ – عربة الدرجة الأولى في قطار الركاب وتتسع لستين راكباً ، وهي ذات مقاعد مريحة ومكيفة ونوافذها محكمة .

المحركات والعربات والمعدات/مقارنة بين ١٣٧١ و١٤٠٠هـ


١


٢


٣

لقد تطور عدد المحركات ، أي القاطرات ، وكذلك العربات ، على اختلاف أنواعها تطوراً كبيراً خلال السنوات الثلاثين الماضية . ففي العام الأول من انشاء سكة الحديد كان هناك ١٥ قاطرة فقط : ست قوة الواحدة منها ألف حصان ، وست قوة الواحدة منها ٣٨٠ حصاناً ، وثلاث قوة الواحدة منها ١٥٠ حصاناً . وفي عام ١٤٠٠ أصبح لدى المؤسسة ٣٤ قاطرة ، منها ١٨ عاملة على الخط الرئيسي ، و ١٦ للمناورات . وتتراوح قوة الواحدة منها بين ١٠٠٠ و ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ حصان ، وتستخدم القاطرات من فئة ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ حصان لتسيير قطارات نقل الركاب والبضائع بين الدمام والرياض وبالعكس .

وفي عام ١٣٧١هـ . كان لدى المؤسسة عدد اجمالي من المعدات تشمل ٤٠٠ مقطورة منها ٢٠٠ عربة مسطحة و ٩٥ عربة مصندقة و ٤٠ عربة صهريج ، و ٣٥ قندولا ورافعتين احداهما طاقتها ٥٠ طناً والأخرى صغيرة . وفي عام ١٤٠٠هـ أصبح لدى المؤسسة حوالي ١٦٠٠ عربة منها ٧٦٧ عربة مسطحة و ٢١٧ عربة مصندقة و ١٧١ عربة صهريج لنقل المحروقات ، و ٢٤٨ قندولا و ١٠٨ عربات لنقل الحبوب ، و ١٢ عربة لنقل السيارات ، و ٩ عربات للبضاعة المبردة . هذا علاوة على العديد من الآلات الرافعة ومنها واحدة طاقتها مئة طن وأخرى ٦٠ طناً ، وعدة رافعات أصغر من ذلك وعدد من الرافعات الشوكية .

أما من حيث عربات نقل الركاب فقد كان لدى المؤسسة عام ١٣٧١ ثلاث عربات من نوع « بد » تسير بقوتها الذاتية ، وفي عام ١٤٠٠هـ أصبح لديها ٣٨ عربة ، منها ١٢ من نوع «شندلر» و ١٦ من نوع «زيفر» و ١٠ من نوع « بد » . كما أن لديها عشر عربات مخصصة للمطاعم ومثلها للأمتعة . وتبعاً لتطور العدد ، فقد تطورت كذلك العُدد والمرافق لتتناسب مع الطلب ولتفي بالغرض .

الموظفون

يعمل في المؤسسة حالياً نحو ١٧٥٥ موظفاً منهم ١١٠٤ من السعوديين ، والباقي ينتمون الى جنسيات أخرى . ومن مجموع الموظفين يوجد ٥٦٧ موظفاً رسمياً و ١١٨٨ موظفاً في بند الأجور . واذا ما رجعنا الى السنة الأولى نجد أن عدد الموظفين في عام ١٣٧١هـ بلغ ١٢٢٨ موظفاً منهم ٧٤٦ سعودياً . وفي عام ١٣٧٧هـ بلغ عدد الموظفين ١٠٦٤ موظفاً . منهم ٨٨٤ سعودياً .



– فنيان سعوديان يعملان في ورشة الصيانة بالدمام .
– السيد خالد ابراهيم ، فني في الورشة يعمل منذ حوالي
٣ سنة ، يخرط عموداً جديداً لتوافق مقاييسه المقاييس المعتمدة
ى سكة الحديد السعودية . ٣ – جهاز نزع العجلات القديمة
ركيب الجديدة مكانها ، وهو أحد الأجهزة المهمة في الورشة
لدمام . ٤ – أثناء الرحلة بين الدمام والرياض يتصل سائق
طار بالمحطات معلماً ومستعلماً . ٥ – مدرب في مركز
دريب بالدمام يشرح للمتدربين الجدد عمل بعض أجزاء محرك
يزل. ٦ – جانب من مباني سكن موظفي المؤسسة في الرياض،
. خصص بعضها للعائلات والبعض الآخر للعزاب، ويحتوي كل
ى منها على ست شقق . ٧ – فريق لاعبي كرة القدم بالمؤسسة.

هذا وتوفر المؤسسة لموظفيها مرافق سكنية وخدمات اجتماعية وطبية . وفي الحي السكني القديم بالدمام يوجد مسجد ومدرسة ومركز ترفيهي به ملاعب لكرة السلة والكرة الطائرة والتنس وقاعة للألعاب الداخلية وبركة سباحة ، وللمؤسسة ناد رياضي يجري العديد من المباريات مع نوادي المؤسسات الأخرى في المنطقة .

وهناك حي سكني جديد ، في الدمام أيضاً ، يقع على مقربة من محطة السكة الحديدية الرئيسية ، أشرف العمل فيه على الانتهاء . ويشتمل هذا الحي على خمسين مسكناً « فيلا » متفاوتة السعة . وهناك خطة لاقامة ١٥٠ فيلا أخرى . وتؤجر هذه المساكن للموظفين بايجار رمزي ، وهي مبنية على طراز حديث . وكذلك خصصت من أراضي المؤسسة قطع منحت للعاملين فيها لاقامة مساكن لهم عليها .

أما من حيث الخدمات الصحية فقد أقامت المؤسسة عيادة في مركزها بالدمام يعمل فيها ثلاثة أطباء عامين وطبيب أسنان . وهي تزمع انشاء عيادة اخرى في الرياض . وتوفر المؤسسة الخدمات الطبية والعلاج المجاني لموظفيها وعائلاتهم ، وكذلك اجراء العمليات الجراحية في المستشفيات الخاصة بالمنطقة الشرقية والرياض . كما تم تطوير أقسام الأشعة والمختبر والاسعاف والطوارىء .

التدريب

لقد بدأ تدريب الموظفين ، في الواقع ، مع ابتداء العمل في انشاء الخط . حيث أخذ الموظفون والعمال السعوديون يقومون بالأعمال التي تتناسب وقدراتهم الثقافية والمهنية ، ولما تم انشاء الخط واستقر العمل في تشغيله وضعت المؤسسة برنامجاً للتدريب مدته ثلاثة أشهر .

وفي عام ١٣٧٧هـ وضع برنامج تدريبي اشترك فيه ٤٠٠ موظف سعودي . وقد التحقوا بمركز التدريب التابع لسكة الحديد حيث تلقوا مواضيع متنوعة في اللغتين العربية والانجليزية وفي والرياضيات والعلوم والضرب على الآلة الكاتبة العربية والانجليزية . وقد اختير من هؤلاء الطلاب ١٣ طالباً ، أرسلوا عام ١٣٧٧هـ في بعثات دراسية الى الولايات المتحدة الامريكية للتدرب على الأعمال الادارية والمحاسبة ومسك الدفاتر وأعمال الهندسة الميكانيكية والكهربائية والاتصالات وصيانة محركات الديزل وادارة الحركة . وقد استمر التدريب بعد ذلك عدة سنوات ، مشتملاً على مناهج متنوعة ادارية وكتابية وحرفية ، ثم توقف لفترة من الزمن .

وفي أوائل عام ١٣٩٨ هـ أعيد النظر في التدريب لتوفير الأيدي الفنية المتدربة من السعوديين ، للقيام بمتطلبات العمل حالياً وفي المستقبل ، اذ من المتوقع أن تنمو أعمال المؤسسة وتتسع . وفي شعبان ١٣٩٨ احتفلت المؤسسة بتخريج الدفعة الأولى من المتدربين الجدد في مختلف التخصصات وكان عددهم يربو على ثلاثين متدرباً .

وفي العام المالي ١٣٩٩/٩٨هـ اتسع نشاط مركز التدريب ، والتحق به ٣٠ متدرباً من العاملين بالمؤسسة ، كمتدربين متفرغين ، بالاضافة الى ٢٢ موظفاً آخر التحقوا بالمركز بقصد اجادة اللغة الانجليزية . كما قبل المركز ٢٤ طالباً من خارج المؤسسة على أن يعملوا فيها مدة ثلاث سنوات على الأقل بعد اتمام تدربهم بنجاح .

ويتعين على هؤلاء المتدربين ، غير العاملين بالمؤسسة ، أن يقضوا مدة تسعة أشهر في التدريب ، يمنح المتخرج بعدها الشهادة الخاصة بتدربه . كما تنظر المؤسسة في أمر ابتعاث الحاصلين منهم على تقدير ممتاز لمواصلة تدربهم في الخارج . وأثناء فترة التدريب تصرف لهم مكافآت فردية تتراوح بين ١٥٠٠ و ١٨٠٠ ريال شهرياً .

التدريب عام ١٤٠١هـ

لقد وضعت المؤسسة خطة للنهوض بمستوى تدريب الموظفين العاملين فيها وكذلك الجدد . ومن أجل ذلك استقدمت عدداً من الخبراء لدراسة أفضل الوسائل ، ووضع البرامج وتنسيق الدورات وعمل خطة متكاملة توفر للمؤسسة الأيدي العاملة الفنية من المواطنين ، وخاصة بعد أن استكملت بناء مركز التدريب الجديد وزودته بمختلف الأجهزة والمعدات اللازمة للتدريب ، وقد افتتح المركز أبوابه للمتدربين في أوائل العام الحالي . وتضم الدورة الأولى عدداً من المتدربين في أقسام الكهرباء والميكانيكا ومحركات الديزل ، والمعادن كاللحام والخراطة وما شابه ذلك .

وسيكون التدريب في الدورة القادمة وما يليها ، نظرياً وعملياً . وسيشتمل النظري على اللغة الانجليزية والحساب والعلوم وبعض المواد الفنية . بينما سيكون التدريب العملي في ورش خاصة تحت اشراف مدربين خبراء في مجالات تخصصهم .

مشاريع المؤسسة

الخطة الخمسية الثانية : ١٣٩٥ — ١٤٠٠هـ

اشتملت هذه الخطة على اقامة عدد من المشاريع الانشائية وقد تم انجاز معظمها والباقي في مراحله النهائية .

ومن المشاريع التي تم انجازها ، الميناء البري في الرياض ، ويقع على مساحة ٦٥٠ دونماً (٦٥٠٠٠٠ متر مربع) ، وقد أقيمت فيه أبنية للجمارك ووكلاء شركات النقل ، وذلك بقصد تسهيل استيراد البضائع عن طريق ميناء الدمام ونقلها مباشرة الى الرياض حيث يتم تخليصها جمركياً ، وكذلك تشجيع المستوردين في المنطقة الوسطى على استخدام سكة الحديد ، الأمر الذي سيوفر عليهم شيئاً من تكاليف النقل . ومن أجل تيسير الأمر عليهم ، أقيمت في الميناء البري في الرياض مستودعات ومخازن مسقوفة وأخرى مكشوفة . كما أقيمت ثلاجة لحفظ اللحوم والفواكه والخضار لتبقيها صالحة مدة أطول وتحفظها من التلف . وكذلك أقيمت ورشة للصيانة ومسجد ومقصف للعاملين هناك . هذا بالاضافة الى حي سكني به ٨٥ شقة .

أما في الدمام فقد أقيم مقر جديد للمؤسسة ، ومركز للتدريب المهني وجدد عدد من المنشآت الأخرى . كما أقيم حي سكني به ٥٠ فيلا ستزداد مستقبلا الى ٢٠٠ فيلا ، وهو الذي سبق ذكره .

ومن المشاريع الفنية لهذه الخطة تجديد شبكات الهاتف والراديو على طول خط السكة من الدمام الى الرياض ، وكذلك ادخال نظام المايكروفيلم في أعمال السجلات .

أما من حيث توفير المحركات والمعدات . فقد تم شراء خمس قاطرات (محركات) و ٢٢ عربة للركاب بمختلف الدرجات و ٣٥٠ عربة لنقل البضائع بين مصندقة ومسطحة . هذا بالاضافة الى شراء وتوفير ما يلزم من معدات السلامة والصيانة والتشغيل وتجديد بعض أجهزة الورش واستبدال المستهلك منها .



معالي الشيخ فيصل الشهيل – رئيس عام المؤسسة ، يبين لكاتب المقال طريق الخط الجديد المزمع اقامته بين الدمام والرياض بالاضافة الى الخط القائم حالياً .

الخطة الخمسية الثالثة : ١٤٠٠ – ١٤٠٥ هـ

وضعت المؤسسة خطة طموحة للخطة الخمسية الثالثة ، تقضي بانشاء خط آخر ، بالاضافة الى القائم حالياً ، بين الدمام والرياض . وهذا الخط ، الذي سيباشر بتنفيذه خلال العام المالي الحالي ، سيختصر المسافة الحالية للخط القائم بحوالي مئة كيلومتر ، اذ أن طول الخط الجديد سيكون في حدود ٤٧٠ كيلومتراً . كما أن سرعة القطارات عليه ستكون أعلى من سرعتها على الخط الحالي ، وستبلغ نحو ١٥٠ كيلومتراً في الساعة .

هذا وسوف يسير الخط الجديد بمحاذاة القديم من الدمام الى الهفوف ، ثم يبتعد عنه باتجاه الغرب ويحاذي خط الأسفلت المؤدي الى الرياض في بعض الأماكن .

أما من حيث تكاليف الخط الجديد فانها تقدر بحوالي ١٢٠٠ مليون ريال ويؤمل أن يتم انجازه في غضون ٣٠ شهراً من بدء التنفيذ .

وضمن الخطة الخمسية الثالثة كذلك ، ولكن ضمن ميزانية الهيئة الملكية ، سيمد خط حديدي من الجبيل – حيث تقام المشاريع الصناعية المتطورة ، الى الدمام . ويبلغ طول هذا الخط ٨٠ كيلومتراً . وقد تمت دراسته ويتوقع أن يبدأ العمل في تنفيذه خلال العام المالي القادم ، وستقوم المؤسسة العامة للخطوط الحديدية بادارته وتشغيله .

ومن ضمن الخطة الخمسية الثالثة أيضاً بناء محطات جديدة في كل من الدمام والهفوف والرياض ، وشراء عدد من القاطرات الجديدة وعربات الركاب والبضائع . كما أن هناك فكرة لدراسة الجدوى الاقتصادية لمد خط حديدي الى المنطقة الغربية وبعض المناطق الأخرى .

مشروع المركز التجاري بالدمام

تمتلك المؤسسة مساحات من الأراضي في كل من الدمام والهفوف والرياض ، وقد فكر القائمون عليها في استغلالها بما يعود بالنفع على المؤسسة والبلاد بوجه عام . وقد رؤي اقامة مشروع لمركز تجاري في الدمام ، مكان محطة السكة الحديدية الحالية الكائنة على مقربة من دار البلدية . حيث أنه قد تقرر نقل المحطة الى الضاحية الجنوبية الشرقية من الدمام ، مقابل عمارات سكن ذوي الدخل المحدود على طريق الدمام – الخبر .

وقد تقرر أن يشتمل المشروع على مجمع عمراني يحتوي على أسواق تجارية ومعارض ومكاتب وفندق وشقق سكنية

وبعض المرافق الأخرى . وسيقام هذا المشروع بالاشتراك مع الشركة السعودية للفنادق والمناطق الصناعية ، ويتوقع أن يبدأ العمل به خلال الخطة الخمسية الثالثة .

التنظيم الإداري

يشرف على المؤسسة مجلس ادارة يتكون من خمسة أعضاء برئاسة معالي وزير المواصلات . وللمؤسسة رئيس عام هو معالي الشيخ فيصل محمد الشهيل ، ويتبع للرئيس العام مباشرة شرطة المؤسسة والمراقبة المالية والعلاقات العامة والتخطيط والميزانية والمتابعة . وللمؤسسة نائب للرئيس العام هو المهندس عبدالمحسن أسعد بشاوري ، ويتبع له مباشرة الشؤون القانونية والأراضي ومركز الترفيه .

هذا وتنقسم المؤسسة الى أربعة قطاعات يرأس كلا منها مساعد للرئيس العام، والقطاعات الأربعة هي :

الشؤون المالية :

ويتبع لها المحاسبة ، المستودعـــات ، المشتريات ، المناقصات ، التأمين والتعويضات .

الشؤون الهندسية :

ويتبع لها صيانة الخط ، الكهرباء ، التكييف ، الورش ، الانشاء ، الصيانة ، الشركات الاستشارية والمنفذة ، الهندسة الميكانيكية ، الهندسة المدنية ، الاتصالات السلكية واللاسلكية ، القوى المتحركة والمعدات ، صيانة الخط .

الشؤون الادارية :

ويتبع لها شؤون الموظفين ، الخدمات الطبية ، التدريب والترجمة ، الخدمات العامة ، الاطفاء والسلامة ، مكتب التنظيم الاداري .

شؤون النقل :

ويتبع لها ادارة التسويق ، ادارة سائقي القطارات ، ادارة الحركة التي تشرف على محطات الدمام والظهران وبقيق والهفوف والخرج والرياض .

وبعد :

فهذا حديث مقتضب عن السكك الحديدية في المملكة ، ماضيها وحاضرها ، وكذلك عن تطلعها الى المستقبل المشرق كمؤسسة حكومية تخدم المواطن والمقيم وتنفع الحاضر والبادي . وهي اذ توفر خدمات نقل الركاب والبضائع والمحروقات بأسعار زهيدة انما تهدف ، في ذلك ، الى خفض تكاليف العيش وتوفير متطلبات الحيـــاة للناس على اختلاف مستوياتهم العملية والاجتماعية والمعيشية ● إبراهيم أحمد الشنطي/ هيئة التحرير

١



٢



تصوير : مايكل اسحق

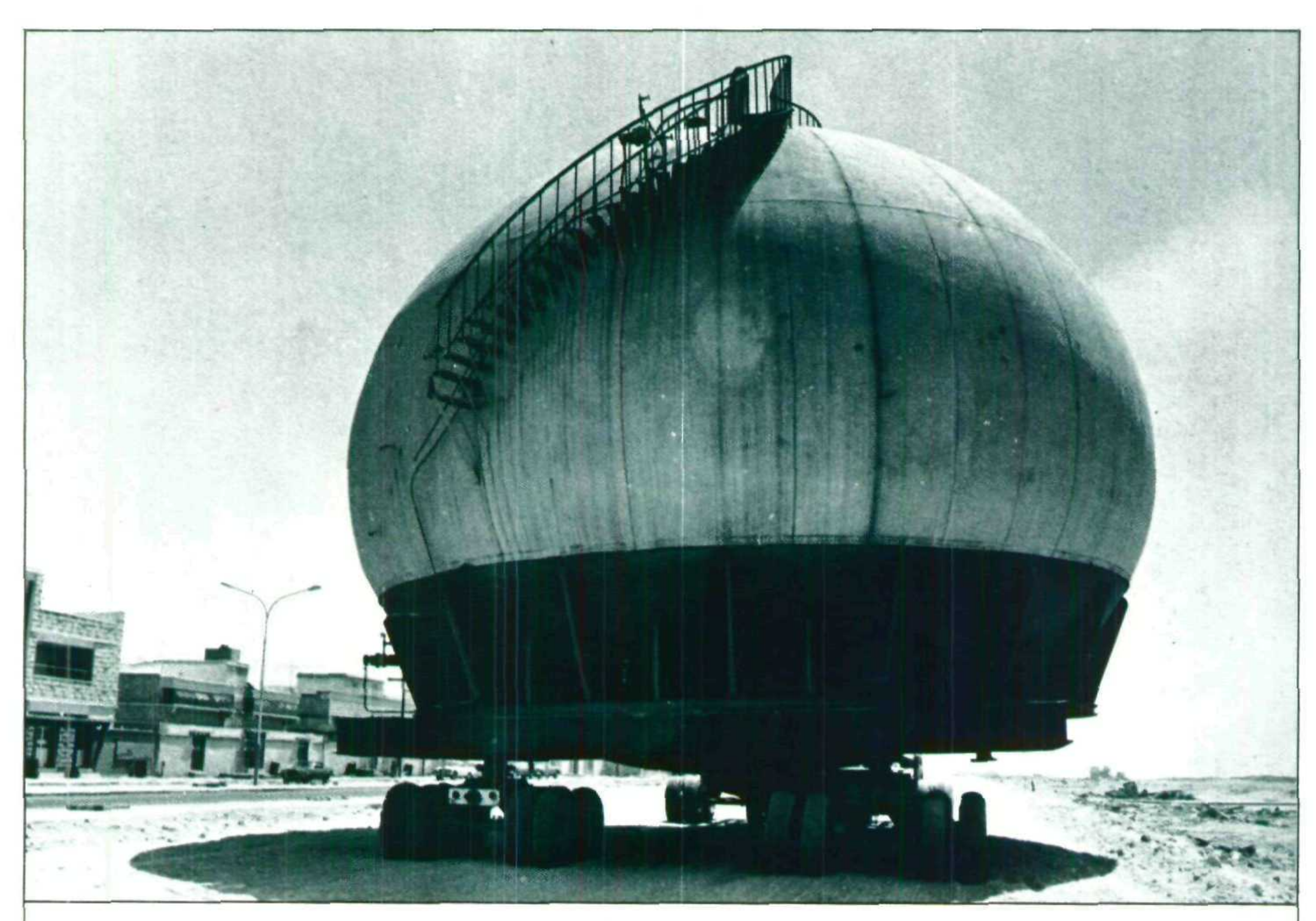
٣

٤



– احدى القاطرات القديمة التي كانت
ستخدم في الأيام الأولى من انشاء الخط .
– الورشة الخاصة بصيانة الخط وتقع على
ربة من الاحساء . ٣ – الركاب يتجهون
حو القطار وقد سبقتهم امتعتهم اليه .
– ثلاث قاطرات في مدخل الورشة بالدمام،
ة احداها ٢٠٠٠ حصان وهي ذات الرقم
٢٠٠٠ ، أما الأخريان فطاقة كل منهما
١٥٠٠ حصان .

أخبــار الزيــت المصــورة



نقل خزان شبه كروي

تم نقل خزان شبه كروي من معمل عين دار رقم ١ لفرز الغاز من الزيت الى موقع مجاور لبئر بقيق رقم – ١٢ لاستعماله في أغراض تتعلق بعمليات انتاج الزيت في موقع البئر .

وعلى الرغم من أن هذا المرفق الكبير – الذي يبدو في الصورة وهو في طريقه الى موقعه الجديد – لا يستعمل بالقرب من معامل فرز الغاز من الزيت وأماكن معالجة الغاز ، فانه يقوم بمهمة حيوية لفرز الغاز من الزيت في موقع الآبار . وبالاضافة الى ذلك فانه يستعمل كصهريج تخزين ، وكمحطة لتزويد العاملين في مرافق الزيت بنوع خاص من الزيت لايقاف زحف كثبان الرمال المتحركة ، ولرش الطرق وغير ذلك من الاستعمالات .

ويعتبر هذا الخزان ، الذي تبلغ طاقة تخزينه ١٠٠٠٠ برميل ، وهي تعادل ثلاثة أضعاف طاقة التخزين الحالية ، الوحيد من نوعه في منطقة بقيق ، مع العلم بأنه توجد خزانات مماثلة في منطقة العضيلية .

وقد صمم هذا الخزان ، الذي يبلغ قطر دائرته ٤٥ قدماً ، ليقوم بازالة الغازات الاضافية غير المرغوب فيها ، من الزيت الخام ●

مرافق تجزئة الغاز في ينبع

أخذت مرافق معمل تجزئة سوائل الغاز الطبيعي ترتفع في ينبع على ساحل البحر الأحمر ، حيث يتوقع أن يتم انجاز الوحدة الأولى في يناير ١٩٨٢ والثانية في منتصف العام نفسه . وكان العمل قد بدأ هناك في أوائل عام ١٩٧٩ باشراف أرامكو ، التي عهد اليها بمهمة القيام بذلك المشروع لصالح حكومة المملكة العربية السعودية .

ومن المتوقع أن تنتج هذه المرافق ٢٧٠٠٠٠ برميل من الايثان وسوائل الغاز الطبيعي يومياً ، مع امكان زيادتها بحوالي ٥٠ بالمئة في المستقبل . أما طاقة شحن المنتجات فتقدر بنحو ٣٠٠٠٠ برميل في الساعة من كل من البروبان والبوتان والبنزين الطبيعي .

ومما تشتمل عليه مرافق مركز تصنيع الغاز في ينبع ، وكذلك في الجعيمة ، ثمانية خزانات ضخمة يزن الواحد ٦٨٠ طناً ويستوعب عشرة آلاف برميل من سوائل الغاز الطبيعي المضغوط .

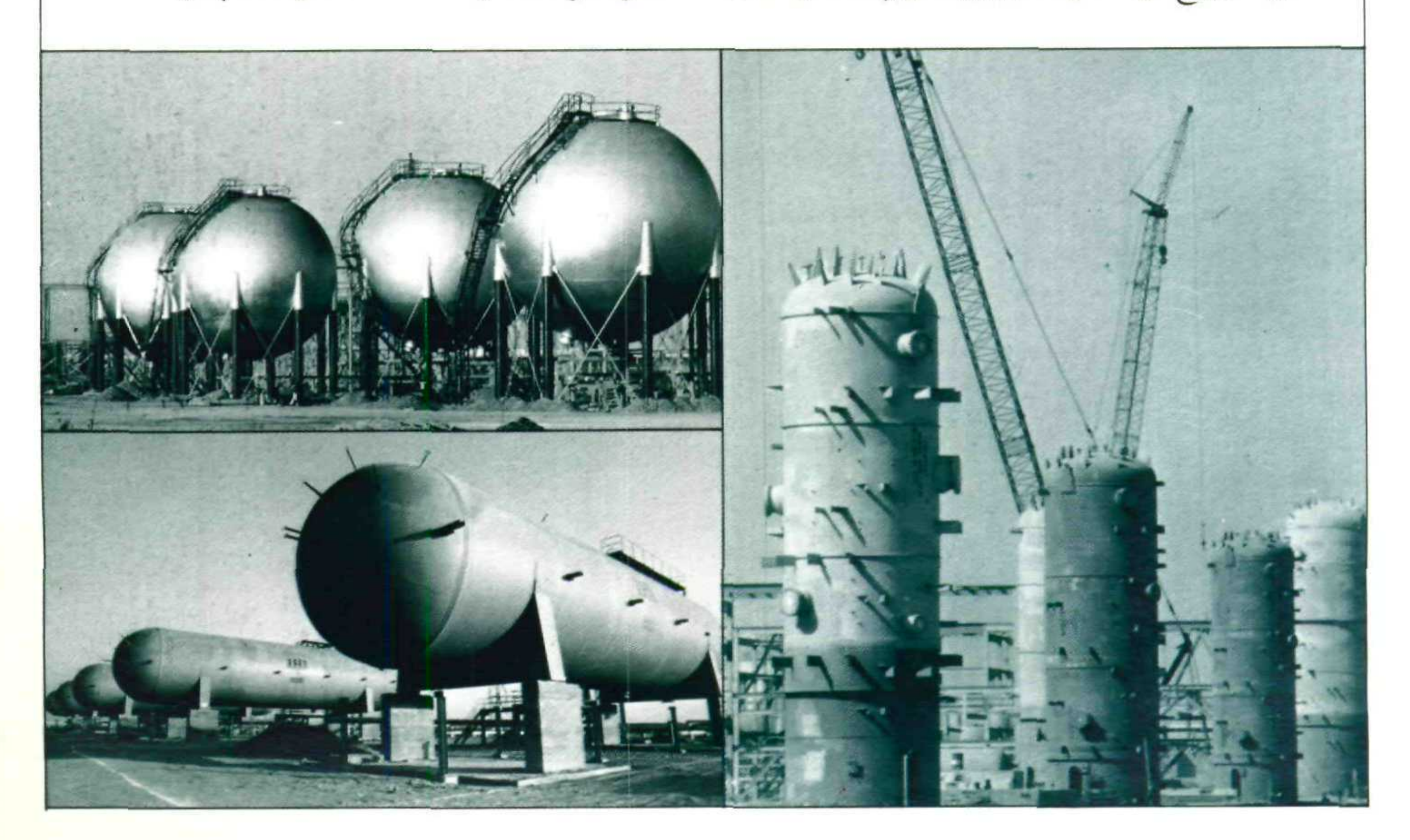
أما وحدتا التجزئة اللتان تضخ اليهما سوائل الغاز من الخزانات الثمانية فيبلغ طول كل منهما ٨٥٦ قدماً ، وتحتوي على شبكات متنوعة من الأنابيب وأجهزة التجزئة وأبراج ازالة الايثان والبروبان والبوتان ، وكذلك عمود آخر لانتاج البنزين الطبيعي . وأطول برجين في المركز هما البرجان الخاصان بازالة الايثان ويبلغ ارتفاع كل منهما ١٤٥ قدماً ، ووزنه ٧٢٢ طناً .

وفي المركز غرفة مراقبة مركزية ، وهي تعتبر القلب النابض لسائر العمليات . ومنها ترسل المعلومات الى سبع وحدات أخرى في كل منها ثلاث شاشات تلفزيونية تكون تحت أنظار ومراقبة المشغلين .

ومن المرافق ايضاً خزانان للبروبان سعة كل منهما ٧٥٠٠ برميل ، وخزان للبوتان سعته ١٠٠٠٠ برميل ، وخزان آخر للمنتوجات الأثقل وسعته ١٥٠٠٠ برميل .

أما رصيف الشحن فيبلغ طوله نحو ثلاثة كيلومترات ، ثلثاه تقريباً على اليابسة والثلث الأخير على جسر بحري . ويمتد على هذا الرصيف ثلاثة خطوط للأنابيب ، واحد قطره ٣٠ بوصة وهو خاص بالبنزين الطبيعي ، واثنان قطر كل منهما ٢٤ بوصة — أحدهما لغاز البروبان والآخر للبوتان .

وقد أقيمت في ينبع فرضة مزدوجة للشحن طولها ٩٠٠ متر تقريباً ، وهي تستقبل الناقلات على جانبيها وتستطيع تحميل ناقلات غاز البترول السائل التي تبلغ حمولة الواحدة منها ٢٠٠٠٠٠ متر مكعب ●



انجاز مراحل جديدة في مركز الغاز الطبيعي في العثمانية

بدأت معالم مركز الغاز في العثمانية تظهر للعيان بعد أن أقيمت الأسس ووضعت القواعد وأخذت الأعمدة والمرافق الأخرى ترتفع في ذلك المنبسط من الأرض في حقل الغوار. فساحة التخزين هناك تغص بمختلف أنواع المواد اللازمة لمعامل الغاز والمرافق المساندة لها، حيث يعمل نحو ٧٥٠٠ موظف في أعمال الانشاء المتنوعة، التي ستصبح عند اكتمالها، في أوائل عام ١٩٨٢، من أضخم المنشآت الصناعية من نوعها في العالم.

والمرافق في العثمانية شبيهة بتلك القائمة في شدقم والبري، وستكون مهمتها تجميع الغاز الطبيعي السائل ومعالجته. وهذا الغاز يخرج مرافقاً للزيت الذي تنتجه أرامكو من مختلف حقولها على اليابسة. وهذه المرافق مع تلك الخاصة بالتجزئة، والكائنة في كل من الجعيمة وينبع، ستنتج الوقود اللازم وكذلك المواد الخام التي ستستخدم في المعامل الصناعية المزمع انشاؤها في المملكة. وعندما تبدأ مراكز الغاز العمل بكامل طاقتها، ستنتج نحو ٨٠٠ ٠٠٠ برميل من سوائل الغاز الطبيعي يومياً. هذا وقد بدأ العمل في ديسمبر ١٩٧٨، وتم حتى الآن انجاز حوالي ٦٠٪ منه.

وسيكون من بين منتوجات مركز معالجة سوائل الغاز الطبيعي في العثمانية: الكبريت وغاز الايثان، وسوائل الغاز الطبيعي التي ستضخ الى شدقم، ومن هناك الى الجعيمة أو الى ينبع. وفي كلا هذين المركزين، سيفرز غاز الايثان ليستعمل في الصناعات البتروكيميائية في الجبيل أو ينبع.

وخلال عمليات التجزئة التالية سيتم انتاج البروبان والبوتان والبنزين الطبيعي وذلك من أجل التصدير.

هذا وسيكون تشغيل مركز العثمانية آخر مراكز معالجة الغاز الطبيعي التي تقام حالياً، وستكون طاقته اليومية ١,٥ بليون قدم مكعب من الغاز المر، و ٢٨ ٠٠٠ برميل من السوائل الهيدروكربونية. وسيشمل انتاجه نحو ٠,٨ بليون قدم مكعب من الغاز الحلو، و ٣٢٠ ٠٠٠ برميل من سوائل الغاز الطبيعي و ١٢٠٠ طن من الكبريت ●

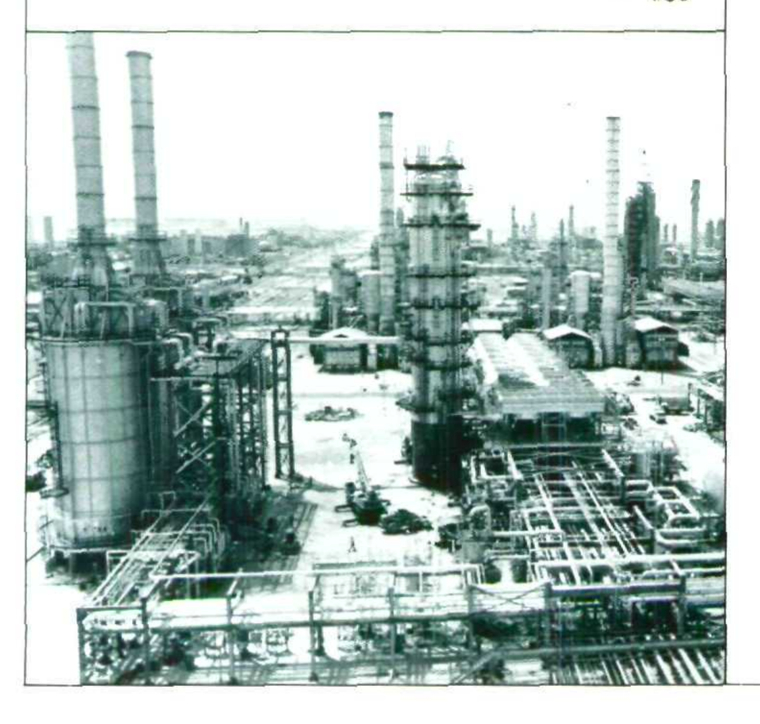
وحدة جديدة لانتاج زيت الديزل

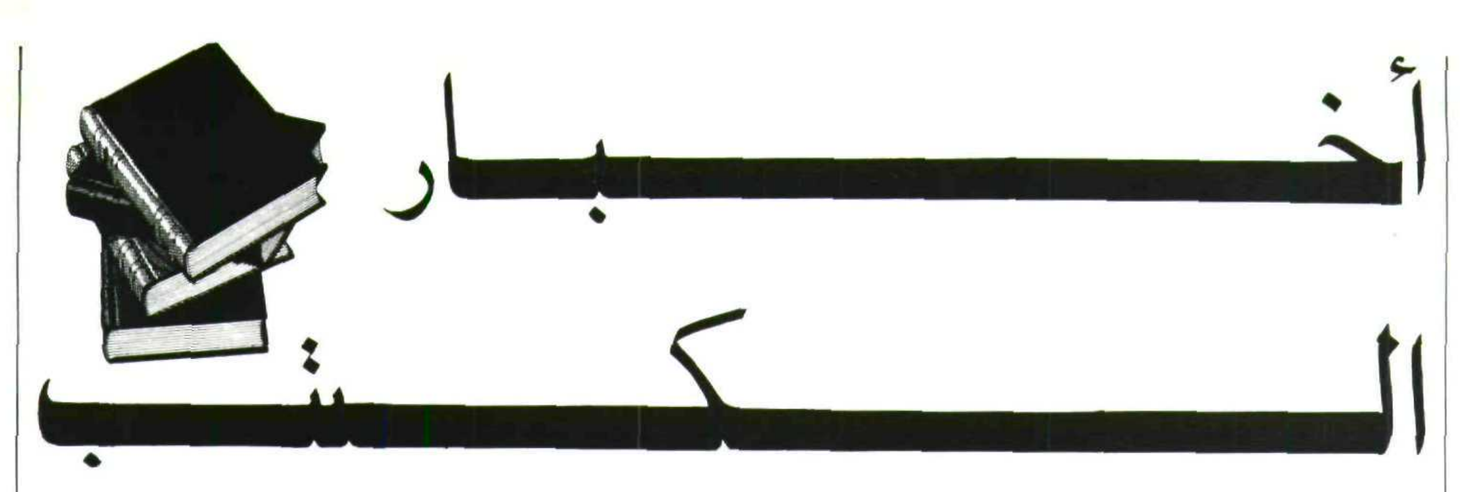
بدأ مؤخراً تشغيل وحدة جديدة لانتاج زيت الديزل لمواجهة الطلب المتزايد عليه في المملكة. وقد أقيمت هذه الوحدة لمعالجة المخلفات التي تنتجها ثلاثة معامل هي ٥ و ٦ و ١١، وتبلغ طاقتها الانتاجية الجديدة ٣٨ ٠٠٠ برميل يومياً يمكن زيادتها في المستقبل الى ٤٢ ٠٠٠ برميل يومياً.

ومهمة الوحدة الجديدة هي اعادة تقطير المخلفات المتبقية في المعامل الثلاثة على درجة حرارة عالية. وسيكون الناتج نسبة صغيرة من المنتوجات الخفيفة، وأخرى كبيرة من المقطرات المتوسطة التي تحتوي على زيت الديزل، أما ما يتبقى بعد ذلك فيختزن كوقود للسفن.

وبالاضافة الى انتاج ٣٨ ٠٠٠ برميل من الديزل يومياً تنتج الوحدة ألف برميل من الكيروسين و ٢٥٠٠ برميل من زيت الغاز الثقيل يومياً أيضاً، وذلك من المخلفات المأخوذة من المعامل ٥ و ٦ و ١١.

كما يحتوي المعمل، الى جانب أجهزة ومعدات التقطير والتبريد والتسخين والمراقبة والضخ، على مرافق أخرى تابعة لها، منها ثلاثة خزانات للديزل سعة كل منها ٦١ ٠٠٠ برميل، وثلاث مضخات لمزج الديزل طاقة كل منها ٩٠ ٠٠٠ برميل يومياً، ومضختان لتحويل الديزل طاقة كل منهما ١٦٠ ٠٠٠ برميل يومياً، وثلاث مضخات للخام، طاقة كل منها ٢٠٠ ٠٠٠ برميل يومياً ●





أخبار الكتب

* مع ازدياد الاهتمام بتطور العلوم وبترجمة الكتب العلمية ، نشطت حركة إصدار المعاجم وقوائم المصطلحات . فصدرت طبعة رابعة من « معجم المصطلحات الفنية » التي أعدته لجنة من الخبراء ونشرته الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية بالقاهرة . وفي سلسلة « المعاجم التكنولوجية التخصصية » التي يشرف عليها المهندس الدكتور أنور محمود عبد الواحد ويقدم لها الدكتور المهندس حسن مرعي ، وتنشر باللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية والعربية بالتعاون بين مؤسسة الأهرام والمؤسسة الشعبية للتأليف في لايبزج ، صدرت أربع حلقات جديدة هي : « معجم العمارة وإنشاء المباني » وقد صنفه الدكتور توفيق أحمد عبد الجواد . و « معجم الهندسة الزراعية » وقد صنفه المهندس محمد عبد المجيد نصار . و « معجم هندسة الطيران » وقد صنفه الأستاذ محمد عبد المجيد الزميتي ، و « معجم هندسة السيارات » وقد صنفه المهندس محمد عبدالمجيد نصار .

وصدر عن مجمع اللغة العربية الأردني كتيب عنوانه « تعريب رموز وحدات النظام الدولي ومصطلحاتها » ، كما صدر للدكتور وليم الخولي معجم موسوعي عنوانه « الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي » وهو من طبع دار المعارف .

* أصدر الأستاذ يوسف أسعد داغر « قاموس الصحافة اللبنانية ١٨٥٨ — ١٩٧٤ » وهو سجل ببليوغرافي ضخم يقع في نحو ٦٠٠ صفحة يؤرخ لنحو ٢٥٠٠ صحيفة ودورية أصدرها اللبنانيون في لبنان والخارج ، وقد نشرته الجامعة اللبنانية .

كما صدر للأستاذ داغر « معجم المسرحيات العربية والمعربة » في أكثر من ٧٠٠ صفحة وهو يؤرخ للحركة المسرحية في العالم العربي تأريخاً دؤوباً ويرصد كل ما صدر من كتب خاصة بالمسرحيات أو بتاريخ المسرح وكل ما يتعلق بفرق التمثيل في العالم العربي . وقد صدر الكتاب عن وزارة الثقافة العراقية . وأيضاً سيصدر له كتاب ببليوغرافي شامل عن « المرأة العربية » يشتمل على كل ما يتناول دور المرأة في الحركة الأدبية والفكرية في لبنان والخارج منذ عام ١٨٥٠ الى اليوم وفيه ما يزيد على ٤٠٠٠ مدخل .

* الاتجاه الجديد في نشر الشعر ينحو نحو اخراج المجموعات الشعرية الكاملة للشعراء . وقد صدرت في الأوان الأخير طائفة غير قليلة من هذه المجموعات منها « ديوان بدوي الجبل » للشاعر السوري محمد سليمان الاحمد ، وقد صدر بمقدمة مسهبة للأستاذ أكرم زعيتر عن دار العودة . و « ديوان محمود أبو الوفا » ، وقد اشتمل الديوان على شعر الشاعر الراحل والدراسات التي نشرت عنه ، وصدر عن الهيئة العامة للكتاب . والجزء الأول من « ديوان العواد » للشاعر السعودي المعروف الأستاذ محمد حسن عواد ، وهو يضم دواوينه الموسومة « آماس وأطلاس » و « البراعم » و « نحو كيان جديد » وقد طبع بمطبعة نهضة مصر . ويصدر قريباً الديوان الكامل للشاعرة جميلة العلايلي . كما تصدر تباعاً عشرة دواوين جديدة للشاعر المعروف حسن كامل الصيرفي . وصدر للشاعر السوري الأستاذ عدنان مردم ديوان « نفحات شامية » عن مؤسسة الرسالة .

* من الكتب الجديدة التي تصدر قريباً كتاب « الموجز في التراث العلمي العربي الاسلامي » للدكتور علي عبد الله الدفاع ، عميد كلية العلوم بجامعة البترول والمعادن بالظهران .

* صدرت في الرياض سلسلة جديدة عنوانها « مكتبة الدراسات » ، كانت الحلقة الأولى منها كتاباً عنوانه « القصة القصيرة في مصر ومحمود تيمور » وهو من تأليف الأستاذ حمزة محمد بوقري .

* في ثلاثة أجزاء ضخام تصدر قريباً الطبعة الرابعة من كتاب « المستشرقون » للأستاذ نجيب العقيقي ، وهو يتقصى حركة الاستشراق وأعلامها في جميع انحاء العالم ويعرف بآثار المستشرقين المنشورة والمخطوطة .

* صدر للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي كتاب في جزءين كبيرين عنوانه « دراسات في الأدب العربي الحديث ومدارسه » ، وقد نشرته مكتبة الأزهر .

* أدب المهجر بين أصالة الشرق وفكر الغرب دراسة جديدة في الشعر المهجري بقلم الدكتور نظمي عبدالبديع محمد صدرت عن دار الفكر العربي .

* آخر حلقة صدرت في سلسلة المكتبة الصغيرة كتاب في سيرة «أرطأة بن سهية» . وهو من تأليف الأستاذ عبد العزيز الرفاعي ناشر هذه السلسلة النفيسة .

* أصدر مجمع اللغة العربية في دمشق فصلة خاصة من مجلته في موضوع « تنسيق حركة الترجمة في البلاد العربية » .

* يعكف الدكتور فؤاد صروف رئيس التحرير الأسبق لمجلة « المقتطف » على تدوين ذكرياته الأدبية عن الأعلام الذين اتصل بهم كشوقي وحافظ ومصطفى صادق الرافعي والعقاد وطه حسين والمازني وشبلي شميل ومي وخليل مطران ومن اليهم .

* أصدر مجمع اللغة العربية الأردني مجلة فصلية جديدة طبع منها عددان .

كما صدرت في القاهرة مجلة «المنتدى» الفصلية وهي تعنى بالثقافتين والحضارتين العربية والفارسية ويحررها الدكتور نور الدين آل علي ويشرف عليها الدكتور يحيى الخشاب. وقد صدر من هذه المجلة عددان .

* « خمسون عاماً في القضية العربية » كتاب ضخم في ألف صفحة صدر للأستاذ الراحل محمد علي الطاهر وفيه ذكرياته عن أقطاب العرب ومقالاته الوطنية التي كان فيها من رواد العروبة الأوائل . وقد صدر الكتاب عن مؤسسة دار الريحاني ببيروت .

* آخر ما كتبه الشاعر الراحل محمود أبو الوفا كتاب يتضمن آراءه التربوية والأخلاقية وعنوانه « هؤلاء أولادي » ، والمنتظر صدوره قريباً .

* رسالة دكتوراه عن الشاعر اللبناني بولس سلامة أعدها الأديب رفيق عطوي وهي قيد الطبع . كما صدر للدكتور فوزي عطوي كتابان جديدان هما « الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة » وقد نشرته دار الكاتب العربي في بيروت و « ابن رشد فيلسوف العقل » وقد صدر عن دار أخبار الخليج في المنامة .

* معجم جديد انكليزي / عربي صدر للدكتور راشد البراوي عنوانه « قاموس النهضة للمصطلحات الدبلوماسية والسياسية والدولية » وقد نشرته مكتبة النهضة المصرية . وهذا ثاني معجم يصدر للدكتور البراوي ، فقد صدر له من قبل « قاموس النهضة الاقتصادي » باللغتين الانكليزية والعربية .

* أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق طبعة مصورة من الجزء الأول من مخطوطة « قاموس الأطبا وناموس الألبا » من تأليف الطبيب مدين بن عبد الرحمن القوصوني المصري .

* العلامة أحمد عبد الغفور عطار صدر له أخيراً « قاموس للحج والعمرة من حجة النبي وعمرته » وقد نشرته دار العلم للملايين في بيروت .

* من كتب المراجع التي نشرت أخيراً كتاب « البيبليوجرافيا المختارة عن الكويت والخليج العربي » من تصنيف الأديبة ثريا محمد قابيل ونشر الكويت .

* أصدر مجمع اللغة العربية بدمشق طائفة من كتب التراث المحققة ، منها « شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف » لأبي أحمد العسكري من تحقيق المرحوم الدكتور محمد يوسف ، و « تصنيف العلوم والمعارف » للمرحوم الدكتور يوسف العش وتحقيق السيدة سماء المحاسني. و« تاريخ أبي زرعة الدمشقي » من تحقيق الأستاذ شكرالله نعمة ، وطبعة ثانية من « أرجوزة أبي نواس » من تحقيق العلامة الأستاذ محمد بهجت الأثري ، و « عرف البشام » للراوي من تحقيق الأستاذين رياض مراد ومجد مطيع الحافظ ، و « شعر ابي هلال العسكري » من جمع وتحقيق الدكتور جورج قنازع .

* ومن كتب التراث الأخرى التي صدرت أخيراً : « كتاب الأفعال » للسرقسطي من تحقيق الدكتور حسين محمد شرف وقد صدر جزؤه الرابع عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، و « اليمن في عهد الولاة » وهو مستخرج من كتاب « الكفاية والاعلام » لأبي الحسن الخزرجي وقد حققه الأستاذ راضي دعفوس ونشرته مجلة الكراسات التونسية ، و « كتاب اللمع في العربية » من صنعة ابي الفتح عثمان بن جني وتحقيق الدكتور حسين محمد شرف ونشر مكتبة عالم الكتاب ، و « شعر أوس بن حجر ورواته الجاهليون » للدكتور محمد عبدالله الجادر ونشر جامعة بغداد ، و « ضرائر الشعر » لابن عصفور الاشبيلي من تحقيق الأستاذ السيد ابراهيم محمد ونشر دار النفائس ، و « أخبار أبي حفص عمر بن عبد العزيز » لأبي بكر محمد بن الحسين ابن عبدالله الأجرى ومن تحقيق الدكتور عبدالله عسيلان ونشر مؤسسة الرسالة ببيروت .

* أصدر الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو طبعة ثانية منقحة من كتاب « شعراء هجر من القرن الثاني عشر الى القرن الرابع عشر » وقد نشرته دار القلم في دمشق .

* من الكتب الدينية التي أخرجتها المطابع أخيراً : « منتخب قرة العيون النواظر في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم » لأبي الفرج ابن الجوزي وقد حققه الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد والأستاذ محمد السيد الصفتاوي ونشرته منشأة المعارف بالاسكندرية ، و « الاسلام أهدى » للأستاذ عبدالله كنون ونشر دار الطباعة الحديثة بالدار البيضاء ، وطبعة جديدة من كتاب « الالتزامات في الشرع الاسلامي » للراحل احمد ابراهيم ونشر دار الانصار ، والجزء الرابع من « صحيح ابن خزيمة » من تحقيق الشيخ محمد مصطفى الأعظمي

كتب مهداة

حظيت مكتبة القافلة مؤخراً بالمؤلفات التالية :

* « المفاهيم الاساسية في علم الادارة » تأليف الدكتور ابراهيم عباس نتو والدكتور هنري هـ . أليرز وكلاهما أستاذ في جامعة البترول والمعادن بالظهران في المملكة العربية السعودية . وهذا الكتاب يتناول المفاهيم والمبادىء الادارية



الضرورية في مجال الادارة ، ويعالج موضوع الادارة كعملية مكونة من عناصر متداخلة بالاضافة الى تعرضه لمتطلبات التنمية في المملكة العربية السعودية وفي بلدان الشرق الأوسط . ويقع الكتاب في ٢٩٣ صفحة ، وهو من نشر « جون وايلي واولاده » في نيويورك ولندن وسدني .

* في فبراير ١٩٨٠ قدم الاستاذ سعد محمد حذيفه مسفر الغامدي أطروحته لنيل درجة الدكتوراة من جامعة اكستر ، وكان موضوعها « سقوط الدولة العباسية في عام ٦٥٦ هـ ، ١٢٥٨ م » .

والرسالة تقع في ٤٩٢ صفحة مكونة من عشرة فصول وخاتمة وببيلوغرافيا اضافة الى بعض الخرائط التاريخية الجغرافية التوضيحية . وقد استقصى الدكتور سعد الغامدي بعض آراء المؤرخين العرب والغربيين في سقوط الدولة العباسية .

فالرسالة تتعرض الى الوضع السياسي والاجتماعي للدولة العباسية المتضعضعة في أواخر أيامها ، وعلاقتها السياسية مع جيرانها الخوارزميين الذين كانوا في مقدمة طريق الاكتساح المغولي مشكلين نوعاً من العازل بين دولة العباسيين والتقدم المغولي . ويفند الدكتور بعض الآراء الشائعة كتدخل الخليفة ناصر في الشئون الداخلية للخوارزميين ومساندته للمغول عليهم . كما يتعرض المؤلف الى أسلوب الحكم في بغداد وأسباب ضعفه واصلا الى أن الصراع الطائفي وغياب سلطة الخليفة الفعلية وتدخل المماليك وغيرهم في شئون الدولة وعدم وجود أي جيش فاعل ، أدى الى الاطاحة بالدولة العباسية على يد المغول .

* اصدر مركز البحوث التربوية والنفسية لكلية التربية بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة بحثين تربويين . الأول بعنوان « تقنين اختبار رسم الرجل على البيئة السعودية ، بالمنطقة الغربية » والثاني بعنوان : « تقنين اختبار المصفوفات المتتابعة على البيئة السعودية ، بالمنطقة الغربية » ، وهما عبارة عن اختبارين من أهم اختبارات الذكاء وأكثرها تقنينا على شعوب العالم المعاصر .

وقد جرى تطبيق البحث الأول على مدار عامين على عينة كبيرة بلغ مجموعها ٢١٦٧ مفحوصاً ومفحوصة من تلاميذ وتلميذات المرحلتين الابتدائية والمتوسطة ، بالاضافة الى ٢٥٦ طفلاً وطفلة في مرحلتي الحضانة ورياض الأطفال . وتراوحت أعمار المفحوصين ما بين ٣ سنوات و ١٥ سنة . وقد قسم البحث الى خمسة أقسام شملت : وصف الاختبار ومراحل تطوره ، الدراسة السابقة التي أجريت على الاختبار سواء في البلاد العربية أو غيرها ، مشكلة البحث ، خطة البحث ، ونتائج البحث . ويقع البحث في ١٠٨ صفحات من الحجم المتوسط وقد تمت طباعته في شركة مكة للطباعة والنشر .

أما البحث الثاني فقد قسم أيضاً الى خمسة أقسام ، وتم تطبيقه خلال عامين متواصلين وشمل اعداداً كبيرة بلغ مجموعها ٤٩٣٢ مفحوصاً ومفحوصة ممن تتراوح اعمارهم ما بين ٨ سنوات وما فوق ثلاثين سنة . وقد شارك في اعداد هذين البحثين لجنة من الأساتذة ضمت كلاً من الدكتور فؤاد أبو حطب ، مقرر البحثين ، والدكتور حامد زهران ، والدكتور علي خضر ، والدكتور محمد جميل يوسف ، والسيد عبدالله عبد الحي موسى ، والسيد يوسف محمود ، والدكتورة آمال صادق ، بالاضافة الى كل من الآنسة عواطف زمزمي ، والانسة الهام وقاد ، والانسة فائقة بدر ، وهؤلاء الانسات الثلاث من المحاضرات السعوديات في علم النفس بقسم الطالبات بمكة المكرمة . ويقع البحث في ٥٨ صفحة من الحجم المتوسط . وهو من مطبوعات شركة مكة للطباعة والنشر ●

على الملك

مختارات من الأدب السوداني

عرض وتعليق : د. يوسف نوفل

للمختارات الأدبية دورها وأهميتها في جميع العصور ، فهي لون أدبي ذو قيمة فنية جليلة ، ومما يحقق له تلك القيمة الفنية اتسامه بصفة التنوع ، اذ يضم أذواقاً متعددة لا ذوقاً واحداً . ويمثل مدارس أدبية واتجاهات فنية تعطي خصوبة وعطاء .

وقديماً اختار القدماء ألواناً من المختارات ، فكان اختيار الفضل الضبي ، والأصمعي ، وأبي زيد القرشي وغيرهم ممن أسهموا في حفظ تراثنا القديم من الضياع .

وحديثاً قام كثير من الأدباء والباحثين باختيار الآثار الأدبية الحديثة ، منهم ما اختاره حسين المرصفي في كتابه الوسيلة الأدبية ، واختيار البكرى للأراجيز ، واختيارات البارودي والمنفلوطي ، وعلي أحمد سعيد (أدونيس) ، وغيرهم ممن يطول المقام بحصرهم .

وتزداد أهمية المختارات الأدبية اذا قدمت لك أدب بيئة من البيئات العربية . وأنت تعيش في غيرها ، وهي لهذا تحقق الأهداف السابقة كلها وتضيف اليها جديداً .

وكتاب « مختارات من الادب السوداني » واحد من هذه الكتب التي تحقق هدف الاختيار والانتقاء الأدبيين ، والتي تسهم في مجال الذوق الأدبي اسهاماً ما .

والحق أنه لا لهذا الغرض قصدنا باختيار تلك المختارات . فقد كان قصدنا من عرض هذا الكتاب التعريف بأدب قد يكون مجهولاً لدى كثير من الناس ، وقد تكون معرفة الأدب السوداني عند الأكثرية لا تتعدى اسم شاعر أو أكثر من مشاهير شعراء السودان .

وكانت فكرة الكتاب وليدة تكليف من ناشر ألماني للمؤلف أن يعد هذا الكتاب لينشر بلغته الأصلية العربية أولاً ثم يترجم للألمانية من بعد ، وكان ذلك في مطلع ١٩٧٤ .

ويذكر المؤلف أنه قدم في الكتاب ما يستهويه من شعر وقصة ومقالة ، وأنه لم ينهج في منتخباته نهجاً معيناً ، وهذا ما يلمسه قارىء الكتاب ، ومن يتتبع ظاهرة معينة ، فلم نر في الكتاب رصداً لتطور ظاهرة ما أو ما يعرف في حقل الدراسات الأدبية من رصد التطور ومتابعة الأجيال .

ولا يعني هذا الاقلال من شأن الكتاب ، وانضمامه الى طائفة من الكتب ذات أهمية بالغة في انارة الطريق أمام مبتغي آداب غير آداب بلادهم .

ويرصد الكاتب ظاهرة طيبة هي ظاهرة التفاعل بين البيئات الأدبية العربية ، حيث كانت مصر في مطلع القرن ذات صلات وثقى بشقيقاتها العربيات في مجال الأدب والثقافة ، وقد رجع المؤلف الى كلمة الدكتور عبدالله الطيب في محاضراته في الاتجاهات الحديثة في النثر العربي في السودان ص ٣٦٠ :

« والتفت الجيل الجديد الى مصر ، يروم منها ما أعياه في السودان ، وكانت صحافتها آنئذ قد بلغت شأوا بعيداً من الجودة ، وكان يكتب فيها رجال كان الشرق العربي كله ينظر اليهم بعين الاكبار ، ويلتمس من عندهم المعرفة والمثل العليا » .

ويضرب مثلاً لذلك بالكاتب السوداني معاوية محمد نور ، ويشير الكاتب الى النهضة الصحفية ، واسهامها الثقافي ، من ذلك مجلة « النهضة » لمحررها المرحوم محمد عباس أبو الريش ، وصدرت سنة ١٩٣١ ، ثم توقفت بعد موت صاحبها ، ثم صدرت مجلة « الفجر » سنة ١٩٣٤ ، وكان يقوم بتحريرها عرفات محمد عبدالله .

الشعر السوداني

والشعر ، كعادته دائماً ، يتقدم صفوف الأجناس الأدبية في الأدب العربي على مر العصور ، وقد كان الشعر السوداني أكثر فنون الأدب وفرة وتطوراً ، وقد ظهرت صورة ذلك في الكتاب الذي بين أيدينا ، والذي رأيناه يفرد للشعر أكبر قدر من الصفحات . ولعله من هنا يجدر أن نقدم بين يدي القارىء صورة من محتوى الكتاب .

وينقسم الكتاب الى ثلاثة أبواب ، الأول اقتصره المؤلف على المقالات ، والثاني على الشعر ، والثالث على القصة .

وفي كل باب من الأبواب الثلاثة يأتي المؤلف بمختارات بعد أن قدم للكتاب بمقدمة موجزة .

يذكر في باب المقالات نماذج لكل من :

عرفات محمد عبدالله ، وأحمد يوسف هاشم ، ومحمد عشري صديق ، ومعاوية محمد نور ، ومحمد أحمد محجوب ، وجمال محمد أحمد ، وأحمد الطيب أحمد ، ومنصور خالد ، وعلي الملك .

وفي باب الشعر يقدم نماذج لكل من :

محمد سعيد العباس ، وعبدالله محمد عمر البنا ، وعبدالله عبد الرحمن ، وحمزة الملك طمبل ، وتوفيق صالح جبريل ، وأحمد محمد صالح ، ويوسف مصطفى التني ، ومحمد أحمد محجوب ، والتيجاني يوسف بشير ، والناصر قريب الله ، ومحمد المهدي محجوب ، وعبدالله الطيب ، ومحمد محمد علي ، وادريس جماع ، وتاج السر الحسن ، وجيلي عبد الرحمن ، ومحمد الفيتوري ، ومحيي الدين فارس ، وغيرهم من الشعراء .

وفي باب القصة يقدم نماذج لكل من :

معاوية محمد نور ، وعثمان علي نور ، وجمال عبد الملك (ابن خلدون) ، والطيب صالح ، والزبير علي ، والطيب زروق ، وعلي الملك ، وعيسى الحلو ، وابراهيم اسحاق .

من شعر التيجاني يوسف بشير في قصيدته « الصوفي المعذب » :

هذه الذرة كم تحمل في العالم سرا
قف لديها وامتزج في ذاتها عمقاً وغورا
وانطلق في جوها المملوء ايماناً وبرا
وتنقل بين كبرى في الذراري وصغرى
تر كل الكون لا يفتر تسبيحاً وذكرا

من شعر جيلي عبد الرحمن من قصيدته « هجرة من صباي » :

وقفن على الشط كالذكريات
بقلب المعذب والشاعر
وقبّلن أمي في وجهها
ولوّحن للموكب الزاخر
وعمي يبلل رأسي الصغير
بريق الفم اللاهث الغائر
ولحيته شوكت وجنتي
وداعبت شاربه ناظري !

من شعر محمد الفيتوري من قصيدته « ياقوت العرش » :

دنيا لا يملكها من يملكها
أغنى أهليها سادتها الفقراء
الخاسر من لم يأخذ منها
ما تعطيه على استحياء
والغافل من ظن الأشياء
هي الأشياء !
تاج السلطان الغاسم تفاحة
تتأرجح أعلى سارية الساحة
تاج الصوفي يضيء
على سجادة قش
صدقني يا ياقوت العرش
أن الموتى ليسوا هم
هاتيك الموتى
والراحة ليست
هاتيك الراحة

ومع أن هذا الكتاب يضم نخبة من الأدباء وبعضاً من نتاجاتهم المختلفة ، الا أنه لا يخلو من تحقيق فائدة وهي تعريف القارىء بأدب قد يكون مجهولا لديه ، فمن خلال هذا السفر يستطيع أن يأخذ فكرة عابرة عن أدب السودان وأدبائها ●



محمد حسن عواد ... ظاهرة فكرية

بقلم: الأستاذ عبد الرحمن شلش

فقدت الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية برحيل محمد حسن عواد (١٣٢٠ – ١٤٠٠ هـ / ١٩٠٢ – ١٩٨٠ م) علماً من أعلامها، وأديباً من أدبائها.

وقال عنه بعض معاصريه: إنه كان مدرسة، ورائداً للشعر الحديث في الجزيرة العربية، وأستاذاً للجيل، وداعية الى التطور، والى تعليم المرأة.

ويعد الرجل ظاهرة فكرية، اذ ترك بصمات واضحة على الحياة الفكرية بصفة عامة، والأدبية بصفة خاصة، فأثراها بكثير من المؤلفات والجهود، محركاً لتيارات التجديد فيها.

وكيف لا؟ فهو المفكر، والشاعر، والقاص، والباحث، والناقد الذي عشق الكلمة، فأخلص لها كل الاخلاص، وأعطاها جل اهتمامه وصدقه عبر رحلة العطاء شعراً ونثراً.

ونظرة سريعة الى مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، تجعلنا نتعرف على تنوع اهتماماته واسهاماته في الحركة الأدبية المعاصرة.

فمن دواوينه المطبوعة: «آماس واطلاس» و«بقايا الآماس» و«في الأفق الملتهب» و«رؤى أبولو» و«عكاظ الجديدة».

ومن مقالاته وبحوثه المطبوعة: «خواطر مصرحة» و«تأملات في الأدب والحياة» و«محرر الرقيق» و«نحو كيان جديد» و«الطريق الى موسيقى الشعر الخارجية» و«المنتجع الفسيح».

ومن أعماله المخطوطة في القصة: «طريق الخلود» و«هلدا وأخريات». وفي اللغة: «المحتقب»، وهو معجم صغير حوى الكلمات الجديدة المستخدمة في الأدب. وفي علم

المواريث : « أيدلوجيا المواريث » ، وهو مرجع في علم المواريث الاسلامية . بالاضافة الى بحوث ومحاضرات ومقدمات لكتب ، وغير ذلك من نتاج فكري .

وتكشف لنا هذه النظرة عن حقيقتين تتعلقان بالرجل وفكره . فأولاهما : أنه كان متمتعاً بأفق واسع ، ورأي ثاقب . وثانيتهما : انه كان خصب الفكر ، وصاحب ثقافة عربية متعمقة مفتوحة على ثقافات العالم من حوله ومتفاعلة معها : أخذاً وعطاء .

وكان متأثراً بالتيارات الأدبية السائدة التي شهدها في عصره سواء عند أدباء المهجر وشعرائه ، أو عند رواد مدرسة الديوان وأبولو في مصر .

ولم يكن مقلداً لأحد من سابقيه أو معاصريه ، بل كان سباقاً الى الجديد والتجديد ، ولاسيما في مجال الشعر الحديث .

واستطاع بافكاره الجديدة أن يسهم في تحريك الركود الأدبي ليواكب التطور الشامل في شتى جوانب الحياة ، حتى يكون مسايراً لايقاع التطور في عصرنا الراهن .

واحتضن البراعم الجديدة المتفتحة من الأدباء والشعراء بتوجيهاته ونصائحه : مرشداً لهم ، ومقوماً لنتاجهم .

ويقول في كتابه « خواطر مصرحة » : بعض شبابنا الأدباء وبعض من قراء الكتب الدارجة ، يقرض القطع الشعرية البديعة الناصعة ، ولكن ماذا يضمنها من الأفكار؟ ينظمها في الغزل حتى يغلب الشاب الظريف ، وفي المديح حتى يفوق البحتري ، وفي الحماسة حتى ينسينا ذكر عنترة ، وفي الحكمة حتى لا يضاهيه أبو العتاهية . وكل هذه من الأفكار البالية التي دفنت مع عصور الشاب الظريف والبحتري وأبي العتاهية ، فلا تصلح لنا . أما اذا لم يستطع أن يأتي بفكر جديد — ولدينا من الأفكار والمقاصد والأغراض الشعرية ما يكمم أفواهنا عجزاً وقصوراً عن استيعابه — فأحرى بنا أن نحطم اقلامنا ونسكت » .

وتتمثل في هذا الرأي ملامح من جرأة الرجل الذي لم يكف عن المطالبة بالجديد في الفكر ، فالشاعر يرتبط بعصره وبواقعه في رؤاه الشعرية واذا لم يأت بفكر جديد ، فأولى به أن يحطم قلمه ويصمت .

ويضم كتابه الذي استشهدنا بفقرة منه ، أفكاراً جديدة ، جريئة ، تشكل نقداً للواقع الأدبي الذي عاش فيه الكاتب .

ويتحدث عن نفسه قائلاً : « كنت أشعر بشيء مبهم يدفعني أن أصنع شيئاً ممتازاً لوطني ولأسرتي ومجتمعي » .

انه يتغنى بالقلم في احدى قصائده المعنونة « نحو النور » والتي تحمل بصمات تجديده :

هتف القلم
فشجا الأمم
ودعا بني العرب الكرام الى الصمود
نحو الحقيقة غير أنهم رقود
هبت سدى صرخات قلبك يا يراع
عشنا سدى
طول المدى

ويخاطب عرب الجزيرة معبراً عن وحدة الأمة العربية وتضامنها :

عرب الجزيرة كم تكون سعيدة
هذي الحياة بوحدة الأبعاد
تتوحد الأشتات في مجموعها
ويعزز المجموع بالأفراد
فيقوم من بردى الى صنعائها
أمل يرن صداه في بغداد

ويصور رؤاه للمرأة في قصيدة عنها : أماً وزوجةً وأختاً وبنتاً :

واجب تهذيبها فهي لنا ال
أم والزوجة والحصن المكين
هي تعطي الطفل من مبدئه
وجهة الفهم وسر المدركين
فاذا أهدته من فطرتها
حكمة أم طريق النابهين
واذا ما نفثت فيه على
جهلها الجهل نأى في الخاملين
ففتاة الشرق في الشرق هدىً
وبنات الشرق أساس البنين

ويتميز شعره بالبساطة والسهولة والبعد عن الغموض ، فيأتي معبراً عما يجيش في النفس ، اذ الشعر عنده هو الشعور ، لا الكلام الموزون المقفى الخالي من المشاعر .

ولا نغالي حين نقول : كانت حياته أشبه بقصيدة جديدة ، متجددة دوماً ، فقد عاش شاباً ، ورحل شاباً في نحو الثمانين من عمره ، وهو يتفجر حيوية ونشاطاً .

وكان الوطن اغنية على لسانه ، فأشعاره وكلماته أغنيات لوطنه ، وللانسان فيه .

اننا نراه علامة بارزة على طريق الأدب العربي المعاصر في المملكة العربية السعودية ، وشاهداً حقيقياً على عصره .

ولعل تكريم اسم الرجل يكون بمنحه جائزة الدولة في الأدب ، واعادة طبع أعماله الشعرية والنثرية حتى تطالعها الأجيال الجديدة .

وليت مؤلفاته وجهوده تحظى بدراسة علمية موضوعية من الباحثين المهتمين بالحركة الأدبية في المملكة .

لقد رحل محمد حسن عواد ، ولكن نتاجه الأدبي والفكري يظل باقياً ، وهكذا شأن الأعمال الأدبية والفكرية الجيدة ، فهي لا تموت برحيل أصحابها ، بل تعيش في ذاكرة الزمن الذي يحفظ لها صفة الاستمرارية بين الأجيال المتعاقبة .

رحم الله الفقيد رحمة واسعة بقدر ما أسهم في اثراء الحركة الأدبية في الجزيرة العربية ●

عبد الرحمن شلش / الرياض


العوالق
كائنات حيوانية ونباتية دقيقة
بلغت دورًا مهمًا في
غذاء الإنسان والحيوان
ابراهيم دعوت

"وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (١)

"أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ" (٢)

لقد سخر الله البحر للانسان فجعله مصدراً وفيراً للغذاء . وما الأطنان المستخرجة من الأسماك وغيرها من الأحياء البحرية الا دليل واضح على أن البحر كان وما زال ذلك المصدر المعطاء الذي لا ينضب .

وعلى الرغم من أن العالم يجني سنوياً أكثر من ستين مليون طن من الغذاء من البحر ، فان التنامي المطرد في تعداد سكان العالم ، يوماً بعد يوم ، يستوجب البحث عن كائنات بحرية أخرى تقوم مقام السمك للتعويض عن النقص المستمر بشكل كبير في الغذاء . ومن هنا دأب المهتمون بالحياة البحرية على مواصلة البحث عن بديل يغنيهم ، ولو جزئياً ، عن الثروة السمكية التي يستخرج منها ملايين الأطنان سنوياً .

ولولا العوالق أو ما يسمى علمياً بـ « البلانكتون — Plankton » وهي كائنات حيوانية ونباتية صغيرة ، لما أمكن الحصول على هذه الكميات الهائلة من الأحياء البحرية . فلو قدر — على سبيل المثال الحصول على ١٠٠٠ رطل من المخلوقات المسماة « مجدافية الأرجل — Copepods » وهي حيوانات صغيرة من فصيلة القشريات ، فانه يحتاج الى ١٠٠٠٠ رطل من الطحالب النباتية المتناهية الدقة ، التي لا ترى بالعين المجردة . وبالمقابل فان الألف رطل من « مجدافية الأرجل » تنتج ما مقداره ١٠٠ رطل من السمك الصغير « الحساس — Smelt » الذي بدوره يعطي ١٠ أرطال من سمك « الاسقمري — Mackerel » والذي يعادل ، كغذاء ، حوالي رطل واحد من سمك التونة الغني بالبروتينات .

ان هذه الأرقام لا تدل على مدى ترابط واعتماد حياة الكائنات البحرية على بعضها البعض فحسب ، بل انها تدل بشكل قاطع على مقدار الكمية الهائلة من العوالق المطلوبة لتأمين الغذاء للانسان من البحر ، والذي يتجاوز الستين مليون طن سنوياً .

أنواع العوالق

تنقسم العوالق الى قسمين رئيسيين : نباتي وحيواني ، وينضوي تحت كل نوع منها أنواع مختلفة هائلة من الكائنات الحية ، الا أن أقدمها المخلوقات التي يطلق عليها اسم « الأوليات » أو « البرزويات — Protozoa » . ويعتقد العلماء أن عمر هذه المخلوقات موغل في القدم كعمر مياه البحر ، اذ تعتبر أول حياة وجدت على سطح البسيطة وحافظت على تعدادها الهائل دون أن تصاب بأدنى نقص يذكر منذ ذلك الزمن السحيق .

ومن أنواع العوالق النباتية — وهي تفوق العوالق الحيوانية عدداً — ما يدعى بـ « الطحالب — Diatoms » وهي عوالق نباتية منها ما هو دقيق جداً لا يرى الا تحت المجهر ، ومنها ما يرى بالعين المجردة . أما أنواع العوالق الحيوانية ، والموجودة منذ العصر « الكمبري — Cambrian » أي قبل حوالي ٥٧٠ مليون سنة ، فيوجد منها : قناديل البحر و « المنخرب — Foraminfera » وهو حيوان بحري دنيا مثقب الأصداف ، واليرقات البحرية ، وبيض الأسماك ، ومجدافية الأرجل وهي حيوانات تنتمي الى فصيلة القشريات — Copepods ، وجميع هذه المخلوقات تتفاوت في الحجم ، فمنها المرئي ومنها غير المرئي .



من العوالق الحيوانية ما يطلق عليه مجدافية الأرجل — Copepods ، وهي تنتمي الى فصيلة القشريات .

وقد كان الاعتقاد السائد ، في الماضي ، لدى المهتمين بالحياة البحرية ، أن الطحالب — Diatoms هي المصدر الرئيسي لغذاء الأحياء البحرية ، اذ تشكل تسعة أعشار الطعام في المحيطات . أما في الوقت الحاضر فيعتقد علماء البحار أن الطحالب المسماة « Dinoflagellates » ، وهي مخلوقات بالغة الدقة وتتحرك كالحيوانات البحرية وتتغذى كالنبات ، ستلعب دوراً مهماً كمصدر من مصادر الغذاء للانسان .

والطحالب ، على وجه العموم ، كائنات حية موجودة في المحيطات بأعداد كبيرة جداً ، ويمكن الاستدلال على

---

(١) سورة النحل ، آية/١٤ (٢) سورة المائدة ، آية/٩٦



يحتوي كل قدم مكعب من ماء البحر — خلال الصيف — على أكثر من ١٢ مليون خلية من خلايا العوالق النباتية ، التي تشكل في معظمها طحالب . ويحيط بكل خلية غشاء هلامي من السليكا ينقسم الى قسمين متطابقين لحماية الخلية من المؤثرات الخارجية .

مكانها بالنظر الى لون الماء . فكلما مال لون الماء الى الخضرة ، دل ذلك على وجود هذه الطحالب بشكل أكبر . غير أن هذه الطحالب تتكاثر بشكل كبير خلال فصل الصيف في المحيطين الأطلسي والهادي لتوفر الغذاء وازدياد كثافة أشعة الشمس في مثل هذا الوقت من السنة .

وعندما يعتزم العلماء جمع عينة من الطحالب ، فانهم يقومون بقطر شبك معدني رفيع في البحر ، تتجمع عليه تلك الطحالب مشكلة طبقة خضراء . عندئذ يقوم العلماء بفصلها عن بعضها البعض بواسطة الماء تمهيداً لدراستها تحت المجهر . وجدير بالذكر أن العوالق تقتات على النباتات المغمورة والمعلقة — Phytoplankton التي تتكاثر بشكل رهيب أثناء هبوب عواصف الشتاء على المحيطات . وقد أثبتت الدراسات التي تجرى في هذا المضمار أن العوالق تستطيع أن تحصل على غذاء يعادل أكثر من نصف وزنها يومياً . كما دلت الدراسات أيضاً على أن كل قدم مكعب من ماء البحر في شمال الأطلنطي — خلال الصيف — يحتوي على أكثر من ١٢ مليون خلية من خلايا العوالق النباتية ، والتي تشكل في معظمها طحالب . ويحيط بكل خلية غشاء هلامي من السليكا ينقسم الى قسمين متطابقين تماماً وذلك لحماية الخلية من المؤثرات الخارجية . وقد عرف حتى الآن حوالي ١٥٠٠٠ نوع من هذه المخلوقات الصغيرة التي تعيش في المياه المالحة والعذبة . وفي التربة الرطبة على اليابسة . وعلى أوراق النباتات الرطبة . ويتركز وجود هذه المخلوقات بشكل رئيسي على شواطىء البحار مما يجعلها غذاء رئيسياً للعوالق .

وتفيد التقارير أن حوالي ٣٠ ألف طن من « الدياتومي — Diatomaceous » وهي أنواع من الطحالب والرواسب المتحجرة كانت تستخرج كل عام من باطن الأرض ، وذلك قبل الحرب العالمية الثانية ، لاستعمالها في أغراض مختلفة . فهي تستخدم ، على سبيل المثال ، كعازل



تعتبر العوالق غذاء مفضلا للحيتان المحيطات الضخمة التي ليس لها أسنان تقضم بها .

للحرارة والصوت للمراجل وافران صهر المعادن . كما تدخل أيضاً ضمن عملية تصفية السوائل كتكرير السكر وعصير الفواكه . وتستخدم كذلك في صناعة المتفجرات والمفرقعات كمادة ماصة ، وهي تعتبر عنصراً أساسياً في صناعة الخزف والكماليات ، وبعض مواد تلميع السيارات والقوارب . وبالاضافة الى ذلك فانها تستخدم على نطاق تجاري واسع في صناعة معاجين الأسنان .

ومن المخلوقات الأخرى التي تلعب دوراً ذا قيمة علمية ، تلك المسماة « المنخرب — Foraminifera » وهو حيوان مثقوب الأصداف من ذي الخلية الواحدة . ويمكن رؤية هذه المخلوقات بالعين المجردة ونادراً ما يتجاوز قطر الواحدة منها المليمتر الواحد ، وتتميز بصدفاتها الكلسية القوية بالاضافة الى شكلها الجميل . ويؤكد العلماء أن صدفات هذه المخلوقات ، عندما تتحجر بفعل العوامل الطبيعية ، فانها تتحول الى تكوينات طباشيرية تدخل في أغراض البناء ولاسيما العمائر والمباني السكنية ، كما وجدت ضمن مكونات الحجر الجيري الذي بنيت به بعض اهرامات الفراعنة في مصر . وتعتبر حيوانات « المنخرب » ركيزة مهمة بالنسبة لعمليات الحفر والتنقيب عن الزيت ، يستدل من بقاياها التي لا تحصى والغنية بالكربون ، على التكوينات الحاوية للزيت . ومن هنا يصعب التكهن بعدد الأحياء الموجودة في البحار ، الا أنه يمكن القول بأن كل قدم مكعب من ماء البحر يحتوي على ملايين من المخلوقات المجهرية الدقيقة . وقد أثبتت الفحوص التي تجرى في المختبرات ، بين الحين والآخر ، أن أماكن مختلفة من قيعان المحيطات تحتوي على أعداد هائلة من بقايا وهياكل تلك المخلوقات .

ويكثر وجود الـ Foraminferans هذه المنخربات بالقرب من شواطىء البحار وهي تعيش وتتكاثر وتفنى في مكان ولادتها ، واذا ما تحركت الى مكان ما ، فانها لا تبعد أكثر من بوصات معدودات . ويوجد من هذه المخلوقات الدقيقة أنواع كثيرة ، نذكر منها ما يسمى « بالدائري » ، نسبة الى شكله المستدير والذي يشبه الى حد بعيد شكل قطعة النقود المعدنية . ونوع آخر يدعى « المعدة الحية — Living Stomach » .

وهو مخلوق يقضي جل حياته بحثاً عن الطحالب والعوالق الدقيقة جداً والبكتيريا التي لا ترى الا تحت المجهر ، وهو المخلوق الوحيد من هذه الأنواع الذي يهضم فريسته قبل أن يلتهمها .

وعندما تريد « المنخربات » تناول وجبة غذاء مثلا ، فانها تنسج أولا شبكة لزجة دقيقة جداً حول جسمها ، وحالما تقع الفريسة في الشرك ، يتولى سائل ثقيل عملية هضمها وتحويلها الى غذاء سائل .

ومن أنواع العوالق المهمة الـ Copepods ، وهي حيوانات مجدافية الأرجل من فصيلة صغار القشريات — كما ذكرنا آنفاً — والسواد الأعظم منها لا يرى بالعين المجردة ، ما عدا أنواع قليلة منها مثل الـ Pennella ، وهي مخلوقات طفيلية تقتات على الحيتان ، ويوجد منها أعداد مختلفة كثيرة تتجمع



تشكل بعض العوالق طعاماً جيداً لحيوانات بحرية أخرى .

بكميات هائلة في قيعان البحار ، اذ أنها تشكل غذاء رئيسياً لكثير من الأحياء البحرية . ومن هذه المخلوقات ما يسمى « Aegistbus Copepod » ، ويتميز هذا المخلوق بطول قدمه الوحيدة التي تبلغ أربعة أضعاف طول جسمه . ومنها أيضاً ما يدعى « Calanus » ، وتسمى أحياناً باسم « الوجبة الحمراء » ، أو « الغذاء الأحمر » ، وهو لا يمت الى ما يسمى بـ « الغذاء الأحمر — Red Feed » بأية صلة ، وهذا الأخير غالباً ما يغير لون الماء لمسافة أميال على طول امتداد شواطىء كاليفورنيا وفلوريدا ، ويسبب الموت والهلاك لكثير من الأحياء البحرية هناك . وعلى الرغم من أن هذه المخلوقات « Copepods » تقتات على نباتات عالقة متناهية في الصغر لا تظهر الا تحت المجهر ، فانها في الوقت ذاته ، تحتل المرتبة الأولى لكونها تشكل طعاماً جيداً لحيوانات بحرية أخرى .



نوع آخر من أنواع العوالق الحيوانية التي لا ترى بالعين المجردة .

ويعتقد العلماء أن من أذكى وأحذق العوالق قاطبة هو ما يعرف باسم « Oikopleura » ، اذ انه يحصل على طعامه بطريقة عجيبة ومثيرة ، فيقوم هذا المخلوق أولا بنسج غطاء هلامي رقيق حول جسمه ، ذي فتحتين ينساب خلالهما الماء حاملاً معه عوالق دقيقة تلتصق بخيوط الشبكة الهلامية والتي يكون عملها كعمل المصفاة تماماً فيلتهم الـ Oikopleura طعامه منها .

ومن المعروف عن العوالق أنها تتجمع قريبة من سطح الماء ، غير أن تجمعات كبيرة منها تكون على عمق يتراوح ما بين ١٠٠ و ٢٠٠ قدم تحت سطح الماء ، لكنه يندر وجودها على عمق ٦٠٠ قدم وذلك لعدم وصول كمية كافية من الضوء ، الذي له الأثر الكبير في حياتها ، عند ذلك العمق .

ومما يثير الدهشة أن العوالق تعتبر غذاء مفضلا لحيتان المحيطات الضخمة التي يصل طول بعضها الى ثمانين متراً ، والسبب في ذلك أن هذه الحيوانات الضخمة ليس لها أسنان تقضم بها ، بل هي تفتح فكوكها أثناء سيرها في الماء فيندفع بداخلها الماء حاملا معه أعداداً هائلة من العوالق حتى تمتلىء الفكوك عندئذ يقوم لسان الحوت — الذي يعمل كمضخات كابسة — بافراغ الماء من خلال فتحات في الفكين ، حتى تترسب العوالق صافية في فمه فيزدردها وجبة سائغة .

العلماء والعوالق

اهتم علماء الأحياء البحرية اهتماماً كبيراً بدراسة الظروف المتعلقة بحياة العوالق ، كما ابتكر الكثير من الأجهزة والأدوات التي من شأنها أن تساعد المهتمين في هذا المجال على توفير أفضل السبل والطرق لدراسة حياة هذه المخلوقات الدقيقة في عرض البحر . وقد تمكنوا ،



تعج مياه المحيطات والبحار باعداد هائلة ومتنوعة من الأسماك المختلفة الأحجام والأشكال .

في الفترة الأخيرة ، من استحداث طريقة جديدة تمكنوا خلالها من مراقبة وفحص دقائق الأمور المتعلقة بتكوين حياة العوالق الحيوانية في عرض البحر ، وذلك عن طريق جمع عينات من ماء البحار والمحيطات . ومع أن العوالق الحيوانية تبدو صغيرة جداً في العينة المراد فحصها ، الا أن وجودها أو عدم وجودها يمكن أن يستنتج من خلال وجود العوالق النباتية التي تتغذى عليها العوالق الحيوانية. ويؤكد العلماء ان الكشف الفوري على حياة العوالق في عرض البحر ، يمكنهم من معرفة درجة تلوث مياه المحيطات يومياً والذي يسبب الموت والهلاك لكثير من الكائنات البحرية .

هذا ولم يمر وقت طويل عندما قام العالم الألماني « جوهانس بيتر مولر Johannes Peter Muller » بأول دراسة لحياة العوالق عام ١٨٤٥ ، فاستطاع جمع عينات من العوالق بشبكة دقيقة مخروطية الشكل كان يجرها قارب في عرض البحر . واعقب ذلك محاولة أخرى قامت بها بعثة شلنجر — Challenger ، فتمكنت من جمع عينات مختلفة ما بين أعوام ١٨٧٢ — ١٨٧٦ ، كانت ذات أهمية بالغة . هذا وما زال المجال مفتوحاً أمام العلماء للقيام بمزيد من الدراسات العلمية بغية اماطة اللثام عن كثير من الغوامض التي تكتنف حياة هذه المخلوقات المجهرية التي ربما تكون — في يوم من الأيام — مصدرا ثرا من مصادر الغذاء .

وخلاصة القول ان العلماء جادون في محاولاتهم الرامية الى استكشاف مصادر اخرى متنوعة للغذاء الذي باتت الحاجة اليه تطرد باطراد تزايد تعداد سكان العالم ●



يظهر المجهر تفاصيل دقيقة لمخلوقات بحرية متناهية في الصغر كمثل هذا المخلوق العجيب .

يوسف خالد بوبشيت — هيئة التحرير

الى الطائر الليلي

شعر: فهد علي النفيسة

متذبذب الآراء في أفق الفتون ... غامت وبتّ من الضلال بلا عيون
لا أنت في سبل الأماني ذاهبا ... أو قافلا في الدرب عن حلك الشجون
حيران عذبك التردد مجهدا ... مستسلماً لرؤى الصبابة والظنون
لا كنت في وصل ولا في فرقة ... غلب الضياع على خطاك فمن تكون

* * *

متقلب الوجدان في فلك الغرام ... متعدد الوجهات في سبل الهيام
لم ترتض الوصل اللذيذ ولا النوى ... وبقيت بينهما فقيد الانسجام
يطويك ليل الهجر اذ ترد المنى ... وتردّك الأشواق اذ تدع المرام
ضاعت حياتك في التردد وانطوت ... أحلامك الكبرى على جنح الظلام

* * *

حتى متى ترتاد باب الاصطبار ... وجل الفؤاد تهيم من غير اختيار
دارت ظنونك في فراغ قاتم ... فالى متى ستظل في هذا المدار
لا ترفع الاحلام شوقك للمنى ... أو تحبط الأوهام سعيك للمزار
وكأنما أمسيت في حلك الدجى ... في جوف اعصار يدور بلا قرار

* * *

يا تائها بين الدجنة والضياء ... كالطائر الليلي يعثر في الهواء
ان لم تدع أفق الظنون وتنجلي ... عن دربك الأوهام طرت بها هباء
لا تمهل الايام مهجة غافل ... حتى يفيق فيتقي برد الشقاء
وأخاف أن ترجو المنى في ساعة ... لم تبق بابا للتمني والرجاء

فهد علي النفيسه - جامعة الملك فيصل




ابراهيم دعوت



خط سكة الحديد يشق الصحراء مستقيماً في جهات
ومنعطفاً في أخرى، يكاد لا يرى في آخره عند الأفق
تصوير: مايكل اسحق